دروس قرآنيّة

سلسلة المعارف الإسلامية

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

دروس قرآنيّة

اسـم الكتـاب: دروس قرآنيّة
إعـداد: مـركـز نـون للـتـأليـف والـتـرجـمـة
نـشـر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
تاريـخ الطبـع: أيار ٢٠١٣ م. ١٤٣٤هـ
الطبعة السابعة – طبعة جديدة ومنقّحة

بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

سلسلة المعارف الإسلاميّة

دروس قرآنيّة

إعداد
مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة ١١

الدرس الأوّل: القرآن منهاج حياة ١٣

منهاج الحياة ١٥

من خصائص القرآن الكريم ١٨

الدرس الثاني: تاريخ القرآن ٢٣

أسماء القرآن ٢٥

نزول القرآن عن طريق الوحي ٢٦

صور الوحي ٢٧

السُّور والآيات المكيَّة والمدنيَّة ٢٨

حفظ القرآن ٢٩

مرحلة كتابة القرآن ٢٩

جمع القرآن ٣١

الدرس الثالث: القرآن الكريم المعجزة الخالدة ٣٧

ضرورة المعجزة ٣٩

معجزة القرآن ٤٠

الدرس الرابع: فضل القرآن وتلاوته ٤٧

القرآن في القرآن ٤٩

القرآن في كلام العترة ٥٠

قبسات من الحديث ٥١
صفة القرآن ٥٢
فضل قراءة القرآن ٥٤
القراءة في المصحف ٥٥
فضل القراءة في البيوت ٥٦

الدرس الخامس: الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن ٦١

تمهيد ٦٣
القرآن نور ٦٤
١- الطهارة ٦٥
٢ - تنظيف الفم ٦٥
٣- استقبال القبلة والإقبال التامّ على التلاوة ٦٥
٤ - البدء بالاستعاذة ٦٦
٥ - قراءة القرآن في المصحف ٦٦
٦ - الترتيل بصوت حسن ٦٦

الدرس السادس: الآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن ٧٣

تلاوة القرآن حقّ تلاوته ٧٥
١- الإخلاص في القراءة ٧٥
٢- التدبّر في القرآن ٧٦
٣- التفكّر ٧٧
٤- التأثّر والخشية ٧٧
٥- البكاء والحزن ٧٧
٦- التطبيق ٧٨
مهجوريّة القرآن الكريم ٨٠

الدرس السابع: الموانع والحجب بين المستفيد والقرآن ٨٣

مقدّمة ٨٥
حجاب رؤية النَّفس مستغنيةً ٨٥
حجاب الآراء الفاسدة والعقائد الباطلة ٨٧
حجاب شبهة التفسير بالرأي ٨٨

حجابُ الذُّنوب والمعاصي ٨٨
حجاب حب الدُّنيا ٨٩

الدرس الثامن: الرسم القرآنيّ ٩٣
أقسام الرسم القرآنيّ ٩٥
متباينات الرسم العثمانيّ والرسم القياسيّ ٩٦
الوجه الأول، الحذف ٩٦
الوجه الثاني الزيادة ٩٩
الوجه الثالث، الهمز ٩٩
الوجه الرابع، البدل ١٠٠
الوجه الخامس، الفصل والوصل ١٠٠

الدرس التاسع: تفسير القرآن الكريم ١٠٥
معنى التفسير ١٠٧
شروط التفسير ١٠٧
تطوّر علم التفسير ١٠٩
مناهج التفسير ١١٠
١- منهج التفسير التجزيئيّ ١١٠
٢- منهج التفسير الموضوعيّ ١١٠

الدرس العاشر: أصول التفسير ١١٥
ظواهر الكتاب ١١٧
العقل القطعيّ ١١٨
طرائق التفسير ١١٨
١- تفسير القرآن بالقرآن ١١٩
٢- التفسير الروائيّ ١٢٠
٣- التفسير اللغويّ ١٢٠
القرآن مائدة لجميع الناس ١٢١
إعداد النفس لحضور مائدة القرآن ١٢٢
من طرائق التفسير ١٢٣

الدرس الحادي عشر: نماذج من التفسير الموضوعيّ(١) (التوحيد) ١٢٧

التوحيد ١٢٩

معنى التوحيد ١٢٩

مراتب التوحيد ١٢٩

الدرس الثاني عشر: نماذج من التفسير الموضوعيّ(٢) (النصر) ١٣٧

النصر ١٣٩

أ- نصر الله تعالى ١٣٩

الرحمة الرحمانيّة ١٤٠

ب- شروط النصر الإلهي ١٤٠

ج- النصر ودخول الناس في الإسلام ١٤٢

د- استمراريّة النصر مشروطة ١٤٢

محتوى السورة وفضيلتها ١٤٤

الدرس الثالث عشر: تفسير سورة الفاتحة -١- ١٤٧

١- خصائصها ١٤٩

٢- أهميّتها ١٥٠

٣- محتوى السّورة ١٥٠

٤- في رحاب سورة الفاتحة ١٥١

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ١٥١

٢. كلمة الله ١٥٢

٣. الرّحمة الإلهيّة الخاصّة والعامّة ١٥٣

٤- الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٥٣

الدرس الرابع عشر: تفسير سورة الفاتحة -٢- ١٥٩

١ - مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ١٦١

٢ - إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ١٦٢

٣- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦٣

٤- صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ ١٦٤

خطّان منحرفان! ١٦٤

١ ـ من هم (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)؟ ١٦٥
٢ ـ من هم (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)، ومن هم (الضَّالِّينَ)؟ ١٦٥

الدرس الخامس عشر: تفسير سورة الضحى ١٦٩
١- في رحاب السّورة ١٧١
٢- سبب النّزول ١٧١
٣- التّفسير ١٧٢
٤- فلسفة انقطاع الوحي ١٧٣
٥- الشكر على كلّ هذه النِّعم الإلهيّة ١٧٣

الدرس السادس عشر: تفسير سورة البيّنة ١٨١
١- في رحاب السورة ١٨٣
٢- خير البريّة وشرّها ١٨٧
٣-عليّ عليه السلام وشيعته خير البريّة ١٨٩
٤- منحنى الصعود والسقوط ١٩٠

الدرس السابع عشر: تفسير سورة الجمعة ١٩٥
١- في رحاب السورة ١٩٨
٢- الهدف من بعثة الرسول ١٩٨
٣- الحمار الّذي يحمل الأسفار ٢٠٠
٤- توصيف حال اليهود ٢٠٠
أهمّيّة صلاة الجمعة ٢٠٣
فلسفة صلاة الجمعة العباديّة والسياسيّة ٢٠٤
دور صلاة الجمعة ٢٠٥

المقدّمة

الحمـد لله رب العالميـن، وصلى الله على سيّدنا محمد وآلـه الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد.

للقـرآن الكريم ما لا يخفى مـن الدور العظيم في تثبيت الإنسـان والمجتمع على صـراط النجاة المستقيـم. وقد ورد العديد من الآيات القرآنيـة والروايات المباركة التـي أكّدت على أهميّة جعل القرآن رايةً نورانية تمشي الأمة تحت ظلها. فالتحدّيات العالميـة التـي تواجهها الأمة اليوم، والغـزو الثقافي، كما المـادي، الذي يحيط بها مـن كل اتجاه، يجعل من القرآن الكريم خير قائد ودليل، ومنبعاً للفكر الوضّاء الذي يستطيـع أن ينقذ روحانيّـة الإنسان، وكيانـه ووجوده، ويبقي علـى ارتباطه المعنوي بالحق عز وعلا، بل إنّ بقاء دولة الحق ووجودها مرتهن بوعي وفهم أصلين أساسين هما: «**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**».[1]

وهـذا ما يحتـاج إلى الغور في رحاب القرآن الكريم تعلّماً وتعليماً وتدبّراً في آياته وسوره.

وقـد أكّدت الروايـات الواردة عن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام علـى وجوب تعلّم القرآن وتعليمه، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**القرآن مأدبة الله فتعلَّموا مِن مأدبة**

(١) الكافي، ج٢، ص ٤١٥.

الله ما استطعتم، إنَّه النّور المبين، والشفاءُ النافع، تعلَّموه فإنَّ الله يشرّفكم بتعلُّمه»[1]. وعنه ﷺ: **«ما من مؤمن ذكراً أو أُنثى، حراً أو مملوكاً، إلا ولله عليه حق واجب أنْ يتعلَّمَ من القرآن»**[2].

وعنه ﷺ: **«من تَعَلَّمَ القرآن وتواضع في العلم وعلَّم عباد الله وهو يريد ما عند الله لم يكن في الجنَّة أعظم ثواباً منه، ولا أعظم منزلة منه، ولم يكن في الجنَّة منزلة ولا درجة رفيعة ولا نفيسة إلا وكان له فيها أوفر النصيب، وأشرف المنازل»**[3].

وروي عن الإمام علي عليه السلام: **«تعلَّموا القرآن فإنَّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنَّه شفاءُ الصُّدور، وَأحسنوا تلاوته فإنَّه أنفع (أحسن) القصص فإنَّ العالمَ العاملَ بغير علمه كالجاهلِ الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحُجَّةُ عليه أعظمُ والحسرةُ له ألزم، وهو عند الله ألوم»**[4].

ومن هنا يظهر الهدف من هذا الكتاب (دروس قرآنية) الذي يسعى إلى تفعيل العلاقة مع القرآن الكريم وتأصيلها، والسعي إلى فهمه والتدبّر في سوره وآياته، ومراعاة آداب التعامل معه، وإزالة الموانع والحجب بيننا وبين القرآن الكريم.

وقد أجرينا بعض التعديل على هذه الطبعة باستبدال بعض الدروس بأخرى، بغية تعزيز الفائدة المرجوّة وتوجيهها أكثر.

على أمل أن يكون لهذا الكتاب أثره العلمي والتربوي المتميّز في ساحتنا الإسلامية، ونكون مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: **«معلِّم القرآن يستغفر له كلّ شيء حتَّى الحوت في البحر»**[5].

مركز نون للتأليف والترجمة

(١) مستدرك الوسائل، ج١، ص ٢٨٧.
(٢) مستدرك الوسائل، ج١، ص٢٨٧.
(٣) عقاب الأعمال، ص٥١.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١١٠.
(٥) مستدرك الوسائل، ج١، ص٢٨٨.

الدرس الأوّل

القرآن منهاج حياة

أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب أنّ القرآن منهاج للحياة.

٢. أن يتعرّف إلى خصائص القرآن الكريم.

منهاج الحياة

يشتمل الدين الإسلاميّ على أتمّ المناهج للحياة الإنسانيّة، ويحتوي على ما يسوق البشر إلى السعادة في الدارين. هذا الدين عُرفت أسسه وتشريعاته من طريق القرآن الكريم والسنّة الشريفة، فالقرآن الكريم ينبوعه الأوّل ومعينه الّذي يترشّح منه.

والقوانين الإسلاميّة الّتي تتضمّن سلسلة من المعارف الاعتقاديّة والأصول الأخلاقيّة والعمليّة، نجد منابعها الأصيلة في آي القرآن العظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

فلو دقّقنا النظر في النقاط التالية نُدرك كيف اشتمل القرآن الكريم على المناهج الحياتيّة الّتي لا بدّ من توفّرها للإنسان:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

١ ـ السعادة غاية الإنسان:

يهدف كلّ إنسان في هذه الحياة الدنيا للحصول على السعادة. ولكن يختلف البشر في تحديدها وتشخيص الموارد الّتي يمكن أن تحقّقها فبعضٌ يظنّ السعادة في المال، وآخر في الجاه والمنصب وغيرهم في الشهرة وهكذا ... والسعادة الحقّة يوم القيامة في الجنّة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[١].

٢ـ ضرورة القوانين والأنظمة:

لا بدّ للإنسان من هدف خاصّ في أفعاله الفرديّة والاجتماعيّة. وللوصول إلى ذلك الهدف ينبغي استناد أعماله إلى قوانين وآداب خاصّة موضوعة من قِبل دين أو غيره.

والقرآن الكريم نفسه يؤيّد هذه النظريّة حيث يقول: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٢].

٣ ـ ضرورة موافقة القوانين للفطرة الإنسانيّة:

ينبغي أن تكون القوانين والأنظمة والآداب موافقة للفطرة السليمة، وليست نابعة من العواطف والاندفاعات الفرديّة أو الاجتماعيّة.

هذا شأن الكون كلّه، سعادته وكماله، باتّباع ما فطره وخلقه الله عليه.

يقول تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٣].

ويقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٤]. ويقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٥].

(١) سورة الأعلى، الآية ١٧
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.
(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ ـ ٣.
(٥) سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠.

ويقـول: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[1].

ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2].

ويقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[3].

وبعـد وضوح هـذه المقدّمات، نشير إلـى أنّ القرآن الكريم وضـع مناهج الحياة للإنسان:

فقـد جعـل أساسـ المنهج معرفـة الله، وجعل الاعتقـاد بوحدانيّتـه أوّل الأصول الدينيّة. ومن طريق معرفة الله دلّه على المعاد، والاعتقاد بيوم القيامة؛ الّذي يُجازى فيـه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وجعلـه أصلاً ثانياً. ثمّ من طريق الاعتقاد بالمعاد دلّه على معرفة النبيّ لأنّ الجزاء على الأعمال لا يمكن إلّا بعد معرفة الطاعة والمعصيـة والحسـن والسيّئ. ولا تتأتّـى هذه المعرفة إلّا من طريـق الوحي والنبوّة، وجعل هذا أصلاً ثالثاً.

واعتبر القـرآن الكريم هذه الأصول - الاعتقاد بالتوحيد والنبوّة الّتي يتفرّع منها الإمامة والمعاد والّذي يتفرّع منه العدل- أصول الدين الإسلاميّ.

وبعـد هذا بيّن أصول الأخلاق المُرضية والصفـات الحسنة الّتي تُناسب الأصول الثلاثـة، والّتـي لا بدّ أن يتحلّى بهـا كلّ إنسان مؤمن، ثمّ شرّع لـه القوانين والأنظمة العمليّة الّتي تضمن سعادته الحقيقيّة، وتنمّي فيه الأخلاق الطيّبة.

ونتيجـة القـول: إنّ القرآن الكريم يحتوي على منابع أصـول الإسلام الثلاثة كما يلي:

١- أصول العقائد، وهي تنقسم إلى أصول الدين التوحيد والنبوّة المعاد.

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٢ - الأخلاق.

٣ - الأحكام الشرعيّة والقوانين العمليّة الّتي بيّن القرآن أسسها، وأوكل بيان تفاصيلها إلى النبيّ ﷺ، وجعل النبيّ بيان أهل بيته عليهم السلام بمنزلة بيانه كما يُعرف ذلك من حديث الثقلين المتواتر نقله عند السُنّة والشيعة.

من خصائص القرآن الكريم

١ ـ سلامته من التحريف:

من الخصائص المهمّة للقرآن الكريم أنّه محفوظ عن التحريف، وهذا بخلاف الإنجيل والتوراة اللّذَين حُرِّفا حذفاً وإضافة، يقول سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ...﴾[١].

وهناك كتب وبحوث كثيرة أثبتت تحريفهما ما أزال صفة الوحي والقدسيّة عنهما.

أمّا القرآن الحكيم فقد بقي مصوناً محفوظاً بحفظ الله ورسوله، وإليكم بعض ما يدلّ على بقائه كما أنزله الله تعالى:

١. القرآن نفسه: وذلك لتواتره بين المسلمين، وعدم الاختلاف فيه، وقد نزل على قلب النبيّ ﷺ في ٢٣ سنة دون تراجع أو تقدّم في البلاغة والفصاحة وحسن البيان، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٣]، وبهذه الآية المتواترة القطعيّة ثبت أن لا زيادة فيه، فهل فيه نقيصة؟

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٣) سورة فصّلت، الآيتان: ٤١ـ٤٢.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

فالذكر هنا هو القرآن، والمراد من حفظه إبقاؤه على ما كان عليه وكما نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلو فرض إسقاط آية منه فلا يكون حينئذ محفوظاً من قبل الله، جلّ الله عن ذلك وعلا علوّاً كبيراً.

٢ - **الروايات الصحيحة عن بيت العصمة والطهارة**، حيث تدلّ على أنّ ما بين الدفّتين تمام ما أنزل، من دون نقيصة أو تحريف، وهي على أنواع، منها:

أ. الأخبار الواردة في بيان الثواب لسور القرآن الكاشفة عن عدم تحريف السور لأنّه لا معنى للثواب على قراءة السور المحرّفة.

ب. الأخبار الدالّة على لزوم عرض الأخبار مطلقاً، أو عند تعارضها، على كتاب الله، حيث إنّه لا معنى لعرض الأخبار على القرآن المحرّف، ما يكشف عن صحّته وعدم وقوع التحريف فيه.

ج. الأخبار الدالّة على وجوب التمسّك بالقرآن، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي**»[2]. وأسانيدها لا تقبل المناقشة عند أحد من المسلمين. فلو كان الكتاب محرّفاً لما كان للتمسك به معنى.

٣ - إنّه لو سقط من القرآن شيءلم تبقَ ثقة في الرجوع إليه.

٤ - إنّ شدّة الاهتمام والضبط في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعده في حفظ الكتاب أخرج سقوط شيء منه عن مجرى العادة.

٢ ـ القرآن كتاب عالميّ:

لا يختصّ القرآن بالعرب أو بالمسلمين،إنّما هو كتاب لكلّ الناس بجميع ألوانهم وأعراقهم، يقول تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[3].

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٢ ح ٢٧٨٦ و ٢٧٨٨، صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٨٧٤ ح ٣٦ و ٣٧، ينابيع المودة: ج ١ ص ٩٥ ح ١٢٦، الكافي: ج ٢ ص ٤١٥ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمنا أو كافرا أو ضالا من كتاب الإيمان والكفر ح ١، وغيرها من مصادر الفريقين.

(٣) سورة ص، الآية: ٨٧.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾[1].

٣ـ القرآن كتاب شامل:

ففيه كلّ ما يحتاج إليه الإنسان في سيره التكامليّ نحو السعادة من أسس العقائد إلى تنظيم المجتمع وأخلاق المعاملة وأدب العبادة وتنظيم حياة الناس. يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2].

٤ - القرآن كتاب لكلّ زمان ومكان:

يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[3].

القرآن هدفه تعريف الإنسان بنفسه وبربّه ودنياه وآخرته والسبل الآيلة لخلوصه من هذه الدنيا سعيداً وحياته فيها معافى، وهذا غير متعلّق بزمان أو مكان، ففي القرآن الحقائق الثابتة، الّتي لا يتطرّق إليها البطلان ولا تنسخ بمضيّ القرون والأعوام، يقول تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[4].

(١) سورة المدّثر، الآيتان: ٣٥ ـ ٣٦.
(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.

خلاصة

رسم القرآن مناهج الإنسان الحياتيّة باعتماد المقدّمات التالية:

١- السعادة غاية الإنسان.

٢- ضرورة القوانين والأنظمة.

٣- ضرورة موافقة القوانين للفطرة الإنسانيّة.

وجعل أساس المنهج معرفة الله، وجعل الاعتقاد بوحدانيّته أوّل الأصول الدينيّة، ومنه تفرّعت باقي الأصول.

ويحوي القرآن الكريم منابع أصول الإسلام الثلاثة كما يلي:

١ - أصول العقائد، وهي تنقسم إلى أصول الدين التوحيد والنبوّة المعاد وما يتفرّع عليها من الإمامة والعدل.

٢ - مكارم الأخلاق.

٣ - الأحكام الشرعيّة والقوانين العمليّة.

من خصائص القرآن الكريم

١- سلامته من التحريف.

٢- القرآن كتاب عالميّ.

٣- القرآن كتاب شامل.

٤- القرآن كتاب لكلّ زمان ومكان.

القرآن والإتقان في المعاني

تعرّض القرآن الكريم لمواضيع كثيرة العدد، متباعدة الأغراض من الإلهيّات والمعارف، وبدء الخلق والمعاد، وما وراء الطبيعة من الروح والملك وإبليس والجنّ، والفلكيّات، والأرض، والتاريخ، وشؤون فريق من الأنبياء الماضين، وما جرى بينهم وبين أممهم، وللأمثال والاحتجاجات والأخلاقيّات، والحقوق العائلية، والسياسات المدنيّة، والنُّظُم الاجتماعيّة والحربيّة، والقضاء والقدر، والكسب والاختيار، والعبادات والمعاملات، والنكاح والطلاق، والفرائض، والحدود والقصاص وغير ذلك. وقد أتى في جميع ذلك بالحقائق الراهنة، الّتي لا يتطرّق إليها الفساد والنقد في أيّة جهة من جهاتها، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. وهذا شيء يمتنع وقوعه عادة من البشر - ولا سيّما ممّن نشأ بين أمّة جاهلة لا نصيب لها من المعارف، ولا غيرها من العلوم - ولذلك نجد كلّ من ألّف في علم من العلوم النظريّة، لا تمضي على مؤلّفه مدّة حتّى يتّضح بطلان كثير من آرائه. فإنّ العلوم النظريّة كلّما ازداد البحث فيها وكثر، ازدادت الحقائق فيها وضوحاً، وظهر للمتأخّر خلاف ما أثبته المتقدّم. والحقيقة - كما يقولون - بنت البحث، وكم ترك الأوّل للآخر، ولهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين، ومن تأخّر عنهم من أهل التحقيق والنظر، قد صارت عرضة لسهام النقد ممّن تأخّر، حتّى أنّ بعض ما اعتقده السابقون برهاناً يقينيّاً، أصبح بعد نقده وهماً من الأوهام، وخيالاً من الأخيلة.

والقرآن مع تطاول الزمان عليه، وكثرة أغراضه، وسموّ معانيه، لم يوجد فيه ما يكون معرّضاً للنقد والاعتراض، اللهمّ إلّا أوهام من بعض المكابرين، حسبوها من النقد[1].

(١) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٦٧ - ٦٨.

الدرس الثاني

تاريخ القرآن

أهداف الدرس

١. بيانُ أسماء القرآن وكيفيَّة نزوله.

٢. التعرُّف على صور الوحي وأنماطه.

٣. معرفةُ الفرق بين السُّور المكيَّة والمدنيَّة.

٤. بيانُ كيفيَّةِ حفظِ القرآن وتدوينه وجمعه.

أسماء القرآن

القـرآن الكريم الّذي هو كتـاب المسلمين الأوّل، والّذي حـاز الاهتمام البالغ من قِبَلهم، والّذي هو المعجزة الخالدة للنبيّ ﷺ والّذي هو وصيّة النبيّ ﷺ بالمحافظة عليه مع العترة الطاهرة، له أوصاف وأسماء عدّة، نذكر منها:

١- **القرآن:** ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]. وتشيـر تسميتـه بـ(القـرآن) إلـى حفظه في الصدور نتيجة لكثرة قراءته، وتـرداده على الألسن، لأنّ القرآن مصدر القراءة، وفي القراءة استذكار واستظهار للنصّ.

٢- **الكتاب:** قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

وفي تسمية الكلام الإلهيّ بـ(الكتاب) إشارة إلى الترابط بين مضامينه ووحدتها في الهدف والاتّجاه، بالنحو الّذي يجعل منها كتاباً واحداً.

(١) سورة يونس، الآية: ٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.

٣- **الفرقان:** قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[١].

فالقرآن يفرق بين الحقّ والباطل، باعتباره مقياساً إلهيّاً مائزاً بين موضوعات الحياة.

٤- **الذِّكر:** ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[٢]، ومعناه الشرف، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣].

وهناك ألفاظ عديدة أُطلقت على القرآن الكريم على سبيل الوصف لا التسمية كالمجيد، والعزيز، والعليّ، في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾[٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[٥]، ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[٦].

والنور، والموعظة، والتنزيل، والحقّ، والبيان، والمنير، والقصص، والسراج، والبشير، والنذير وغيرها الواردة في آي القرآن نفسها أو في الأحاديث.

نزول القرآن عن طريق الوحي

تلقّى النبيّ الأكرم ﷺ القرآن الكريم عن طريق الوحي، ونظراً إلى أنّه ﷺ كان يتلقّى الوحيَ الإلهيّ من جهةٍ عُليا معنويّة، وهي الله سبحانه. لذا يقال إنّ القرآن نزل عليه، للإشارة إلى علوّ الجهة التي اتّصلَ بها النبيُّ عن طريق الوحي، وتلقّى عنها القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ

(١) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الأنبياء: الآية: ١٠.
(٤) سورة البروج، الآية: ٢١.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٤١.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٤.

يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾[1].

والوحـيُ لغةً هو: الإعلام فـي خفاء. أي الطريقة الخفية فـي الإعلام، وقد أطلق هذا اللَّفظ (الوحي) على الطَّريقة الخَّاصة التي يتصل بها الله تعالى برسوله، نظراً لخفائها ودقتها وعدم تمكُّن الآخرين من الإحساس بها. ولم يكن الوحي هو الطَّريقةُ التي تلقَّى بها خاتم الأنبياء وحده كلمات الله، بل هو الطريقة العامة لاتصال الأنبياء بـالله وتلقّيهم الكتـب السماوية منه تعالـى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[2].

صور الوحي

يبدو من القرآن الكريم أنَّ الوحيَ هذا الاتصال الغيبيّ الخفيَّ بين الله وأصفيائه، له صور ثلاث:

الأوّل: إلقـاءُ المعنى في قلب النبيّ أو نفثه في روعه بصورة يحس بأنه تلقاه من الله تعالى.

الثاني: تكليـمُ النبيّ من وراء حجـاب، كما نادى الله موسى مـن وراء الشجرة وسمع نداءه.

الثالثة: هي التي متى أطلقـت، انصرفت إلى ما يفهمه المتديِّنُ عادةً من لفظة الإيحـاء، حين يلقي ملك الوحي المرسل من الله إلى نبيٍّ من الأنبياء ما كُلِّفَ إلقـاؤه إليه، سواء أنزل عليه في صورة رجل أم في صورته الملكيَّة، وقد أشير إلى هذه الصُّور الثلاث في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[3].

وتـدلُّ الرِّوايات على أنَّ الوحي الذي تلقَّى النّبيُّ ﷺ عن طريقه الرِّسالة الخاتمة

(١) سورة الشورى، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٣.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.

وآيـات القرآن المجيـد، كان بتوسيط الملـك في كثير من الأحيـان، وبمخاطبة الله لعبده ورسوله من دون واسطة في بعض الأحيان، وكان لهذه الصُّورة من الوحي التي يستمـع فيها النبيّ إلى خطاب الله مـن دون واسطة أثرَها الكبير عليه. ففي الحديث أنَّ الإمـام الصـادق عليه السلام سئل عـن الغشية التي كانت تأخذ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم أكانت عند هبـوط جبرائيل عليه السلام فقـال: لا، وإنما ذلك عنـد مخاطبة الله عز وجّـل إيَّاهُ، بغير تُرجمانٍ وواسطة[1].

السُّور والآيات المكيَّة والمدنيَّة

يتألـف القرآن العظيم من ١١٤ سـورة وتحتوي كلُّ سورةٍ على عددٍ من الآيات. وأوَّلُ آيـاتٍ نزلت كما يُنقل عـن الإمام الصادق عليه السلام هي الخمس الأوائـل من سورة العلق قال: «**أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك..**»[2].

وتنقسـم سور القرآن وآياته إلى مكيَّة ومدنيَّة. والضابط والمعيار في التمييز بين الآيات والسُّور المدنيَّة والمكيَّة هو الضابط الزماني، حيث جعلت هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي المعيار، فكلُّ آيةٍ أو سورةٍ نزلت قبل الهجرة أو أثناءها وقبل الوصول إلى المدينة فهـي مكيَّة. وكلُّ ما نزل منها بعد الهجـرة حتَّى وإن نزلت في مكّة فهي مدنيَّة. وعليه يكون لدينا في القرآن ٨٦ سورة مكيَّة و٢٨ سورة مدنيَّة.

وأمَّـا الخصائصُ الغالبة على السُّور المكيَّة، فهي عبـارة عن: الدعوةُ إلى أصول العقائـد والأخـلاق، الحديثُ عن القيامـة والجنَّة والنَّار، مجادلـةُ المشركين، كثرةُ القسـم، قصصُ الأنبيـاء، صغرُ السُّـور وقصرُ الآيـات والإيجاز في الخطـاب. أمّا الخصائـص الغالبة علـى السُّـور المدنيَّة فهي: طـولُ السُّور والآيـات، مجادلةُ أهل الكتـاب، مجابهةُ المنافقين، ذكرُ الجهاد وأحكامـه، بيانُ أحكام الحدود والواجبات والحقوق والإرث، بيانُ القوانين السياسية والاقتصادية والمعاهدات.

(١) بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٦٠.
(٢) الكافي، ج٢، ص٦٢٨.

حفظ القرآن

في بداية الدعوة؛ عقد الرسول ﷺ وأصحابه العزم على حفظ القرآن في صدورهم. وكان العرب يتمتَّعون بهذه الهبة الإلهيّة وهي قوَّة الحفظ في حدٍّ الكمال. ومع أنهم كانوا محرومين من نعمٍ كثيرة، إلا أنهم برعوا في قوَّةِ الذَّاكرة. فكانوا يحفظون القصائد الطويلة بكلِّ سهولة، ويختزنون في ذاكرتهم دواوين من الشعر، وكان العربيُّ يحفظ ما يسمعه مرةً واحدةً، ويودعه ذاكرته إلى الأبد.

وقد قدم لهم القرآن ببيانه الساحر في صياغته ومحتواه، أروع كلام ورسالة تنفذ إلى أعماق الروح، حيث كانت الآيات والسُّور الأولى التي نزلت في مكّة مسجَّعةً وموزونةً تقريباً. وكان إيقاع الآيات والسُّور أخَّاذاً وجذَّاباً بحيث كان يبهرهم. وكان رسول الله ﷺ يحثُّ أصحابه على حفظ الآيات والسُّور، حيث إنَّه في بداية الدَّعوة في مدينة مكّة لم يكن عدد الكتَّابِ كثيراً، ولا أدوات الكتابة كانت متوفّرةً. وهكذا وظَّفَ المسلمون قوةَ حفظهم في أكثر السُّبلِ قدسيَّةً، وجعلوا من صدورهم وقلوبهم موضعاً لآيات القرآن النيِّرة.

مرحلة كتابة القرآن

كانت ضرورة كتابة القرآن واضحةً تماماً في حياة الرسول ﷺ لأنّ الاعتماد على حفظ القرآن في الصُّدور لم يكن يبعث على الاطمئنان فيما يتعلق بصيانته والحفاظ عليه. ومع أنَّ عددَ الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة في عصر نزول الوحي قليلٌ جداً، بحيث ذكر البعض أنَّ عددَ من كان يجيدُ القراءةَ والكتابةَ في مكَّةَ لم يتجاوز سبعةَ عشر شخصاً. إلا أنَّ اهتمام الرسول ﷺ بالقرآن وكتابة الوحي، دفعه إلى استدعاء من يعرفون القراءة والكتابة من أجل كتابة وضبط آيات القرآن الكريم. فمتى ما كانت تنزل آيات من القرآن الكريم كان يدعو

كتّـاب الوحي ويأمرهم بكتابتها، وكانت هذه الجماعـة تُسمَّى بـ «**كتّاب الوحي**». وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما يصرح الجميع تقريباً من أوائل كتّاب الوحـي والمداومين علـى كتابته، حيث إنَّه عليه السلام كان يكتـب أكثر الوحي ويكتب غيـر الوحـي أيضاً. وتجدر الإشـارة أنَّه كان هناك آخرون يكتبـون الوحي أيضاً كأُبـي بـن كعب وزيد بـن ثابت ومعاذ بن جبـل وعبد الله بن مسعـود، وليس كلّ مـن كان يجيـد الكتابة كان يـؤذنُ له بكتابـة الوحي، بـل كان دورُ البعض منهم مقتصـراً على أنْ يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرسائل والعهود وعقود الصلح وغيرها من حوائج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المختلفة.

وكان كتّاب الوحي يكتبون الآيات حسب تسلسل نزولها، ومتى ما نزلت بسملة كانوا يعرفـون أنَّ السُّورة السابقـة انتهت وبدأت سورة أخرى فعـن الإمام الصادق عليه السلام قـال: «**ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته بسم الله الرحمن الرحيم وإنما كان يعرف انقضـاء السُّـورة بنزول بسـم الله الرحمن الرحيم ابتداء للأخرى**»[1].

وهكـذا كانت تنتظم آيـات القرآن على شكل سور على أسـاس الترتيب الطبيعي وهو ترتيب نزولها، فتأخذ الآيات المكيَّة موضعها في السُّور المكيَّة، وتأخذ الآيات المدنيَّة موضعهـا فـي السُّور المدنيَّة، حتَّى وإن كان من الممكـن أنْ تطولَ مدَّةُ إكمال السُّورة التي تنزل آياتها مجزأة.

ويستفـاد من الوثائق التاريخية أنَّه كانت أحياناً تنزل آية أو آيات ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمـر كتّاب الوحي بكتابتها في ثنايا سـورة كانت قد نَزلت وخُتمت من قبل. وهذا النمط من تنظيـم الآيات الذي كان يأتي خارج المسار الطبيعي لنزول الآيات، كان يحتـاج إلى تصريح وتعيين من الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه. ولا شك في أنَّه كانت تكمن في ذلك حكمةٌ ومصلحة.

(١) بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٠.

جمع القرآن

إنَّ كتابة وتنظيم آيات القرآن الكريم، حصلت بلا شكٍّ قبل وفاة الرسول الأكرم ﷺ، فكان كلما هبط الوحي بالآيات الكريمة، ثبتت في ذاكرة الرسول ﷺ وأصحابه، وسجّلتها فوراً أيدي كتّاب الوحي في الوضع الذي كان يأمر به النبيّ ﷺ، فترتيب الآيات في السُّور كان يتمّ بأمر من رسول الله ﷺ. إلا أنَّ جمع القرآن على صورة مصحف منسّقِ الآيات والسُّور ومنتظم الأوراق لم يتم في عهد الرسول الأمين ﷺ، وذلك لأنه كانت تنزل بعض آيات سورة من السُّور ومن ثمَّ تنقطع بنزول آيات سورةٍ أخرى قبل تلك السُّورة أو بعدها، ثمَّ يَستأنِف الوحي من جديد آيات السُّورة الأولى وهكذا حتَّى كمل التَّنزيل.

ومما لا شك فيه أنَّ حالةً كهذه يتعذَّرُ، بل يستحيل معها جمع القرآن مباشرة في مصحف واحدٍ عند نزوله، لأنّ النزول التدريجي للآيات يستلزم تغييراً مستمرَّاً في الرّقاع المدوّن عليها لتوضع الآية الجديدة محلها، والمشقة فيه غير خافية. كما أنَّه بعد ختم الله الوحي وإتمام النعمة وإكمال الدين لم يعش رسول الله ﷺ فترة مناسبة ليقوم هو بترتيب وجمع الرقاع ونحوها في مصحف منسق واحد، فإنَّه ﷺ قبض في السنة التي نزلت فيها آخر آية من القرآن. غير أنَّه ﷺ لم يتوفَّ إلا بعد أنْ أعلم العددَ الغفيرَ من الصَّحابة، بترتيب القرآن الكريم حتَّى صار حُفَّاظ القرآن الكريم يقرؤونه كاملاً مرتباً على نحو ما أمر به الرسول ﷺ بتعليم من جبرائيل، فكان ذلك ضماناً لترتيب السُّور والآيات في مصحفٍ واحد. وقد أمر النبيّ ﷺ أميرَ المؤمنين علي عليه السلام بأن يأخذَ القرآن بعد وفاته ويجمَعَهُ كلَّه، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنَّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: يا عليّ، القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة،

فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر ثمَّ ختم عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتَّى أجمعه وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداءٍ حتَّى جمعه»[1].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي وأوصاني إذا واريته في حفرته أنْ لا أخرج من بيتي حتَّى أؤلف كتاب الله فإنَّه في جرائد النخل وفي أكتاف الإبل..**»[2]. وحين أتمَّ عليه السلام تجهيزَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكفينه ودفنه والنَّاس منصرفون إلى شؤون البيعة والخلافة في سقيفة بني ساعدة، انصرفَ أمير المؤمنين عليه السلام إلى تنسيق تلك الرّقاعِ وتنظيمها وترتيب سورها وآياتها، وجعْلِهَا كتاباً واحداً بعد أنْ كانت في رقاعٍ متنوِّعةٍ وغيرِ منتظمة.

ولكنّ ظلَّ المسلمون، وعلى الرَّغمِ من جمع القرآن وتنسيقه في مصحفٍ واحدٍ، يقرؤونه بقراءاتٍ شتَّى لاختلاف ألسنتهم، فكان الاختلافُ في الحركة الإعرابيَّة مثلاً مثاراً للخلاف بينهم وتشتيت كلمتهم، الأمر الذي دعا حذيفة بن اليمان بعد عودته من فتح بلاد أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق، إلى أنْ يُسرِعَ إلى الخليفة عثمَّان بن عفان يذكِّرُه بمنع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الاختلاف في القرآن قائلاً له: «**أدرك هذه الأمة قبل أنْ يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنَّصارى**»، فقام عثمَّان بجمع المسلمين على قراءة واحدة وهي القراءة المتعارفة بين المسلمين، والتي تلقُّوها من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتَّواتر، ومنعَ سائرَ القراءات، وأحرقَ المصاحف أو أتلفها عدا المصحف الذي اختاره، واستنسخته لجنة مؤلَّفَةٌ من زيد بن ثابت وجماعة آخرين.

(١) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٤٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٨، ص٢٢٧.

خلاصة

١- للكتاب الإلهيّ المنزل أسماء عديدة منها القرآن والفرقان والذكر.

٢- نـزل القـرآن الكريم علـى رسول اللّه ﷺ عـن طريق الوحي الذي هـو الطريقة الخاصة التي يتصل بها اللّه تعالى برسوله.

٣- للوحـي ثلاث صـور وأنماط مختلفة: إمّـا إلقاء المعنى في قلب النبـيّ، أو تكليم النبيّ من وراء حجاب، أو من خلال ملك مرسل من اللّه إلى النبيّ.

٤- فـي بداية الدعـوة كان حفظ القرآن مـن خلال ما يختزنه العـرب في ذاكرتهم القوية من الآيات والسُّور، وما يحفظونه منها.

٥- بمـا أنَّ الاعتماد على حفظ القرآن في الصدور لم يكن يبعث على الاطمئنان لذا عمـد الرسول ﷺ إلى تدوين القـرآن وكتابته كلما نزلت آية من خلال الاستعانة بأشخاص عرفوا فيما بعد (بكتّاب الوحي)، وكان على رأسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٦- أوصـى الرسـول الأكرم ﷺ قبـل عروج روحـه المقدّسة وهو علـى فراشه أمير المؤمنيـن عليه السلام بجمع القرآن الذي كان ما يزال فـي جرائد النخل وفي أكتاف الإبـل، فانصـرف الإمام علي عليه السلام إلـى تنسيق تلك الرقـاع وتنظيمها وترتيب سورها وآياتها حتَّى صارت في كتاب واحد.

الاستقامة في أساليب القرآن

... أحسّت العرب بهذه الاستقامة في أساليب القرآن، واستيقنت بذلك بلغاؤهم. وإنّ كلمة الوليد بن المغيرة في صفة القرآن تفسّر لنا ذلك، حيث قال، حين سأله أبو جهل أن يقول في القرآن قولاً:

«فما أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم في الأشعار منّي ولا أعلم برجزه منّي، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ. والله ما يشبه الّذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّه ليحطّم ما تحته، وإنّه ليعلو ولا يُعلى.

قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتّى تقول فيه.

قال الوليد: فدعني حتّى أفكّر فيه، فلما فكّر. قال:

هذا سحر يأثره عن غيره»[1]..

وفي بعض الروايات قال الوليد:

«والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ومن كلام الجنّ، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر»[2].

وإذا أردت أن تحسّ ذلك من نفسك فانظر إلى الكتب المنسوبة إلى الوحي، فإنّك تجدها متناقضة المعاني، مضطربة الأسلوب، لا تنهض ولا تتماسك. وإذا نظرت إلى كتب العهدين، وما فيها من تضارب وتناقض، تجلّت لك حقيقة الأمر، وبان لك الحقّ من الباطل. وهنا نذكر أمثلة ممّا وقع في الأناجيل من هذا الاختلاف:

١- في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل متّى، والحادي عشر من لوقا: أنّ المسيح قال: «**من ليس معي فهو عَليّ، ومن لا يجمع معي فهو يفرّق**». وقال في التاسع

(١) تفسير الطبري، ج ٢٩، ص ٩٨.

(٢) تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٧٢.

من مرقس، والتاسع من لوقا: «**من ليس علينا فهو معنا**».

٢ – وفي التاسع عشر من متّى، والعاشر من مرقس، والثامن عشر من لوقا: أنّ بعض الناس قال للمسيح: «**أيّها المعلّم الصالح. فقال: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلّا واحد وهو الله**». وفي العاشر من يوحنّا أنّه قال: «**أنا هو الراعي الصالح... أمّا أنا فإنّي الراعي الصالح**».

٣ – وفي السابع والعشرين من متّى قال: «**كان اللّصّان اللّذان صُلبا معه – المسيح – يعيّرانه**»، وفي الثالث والعشرين من لوقا: «**وكان واحد من المذنبين المعلّقين يجدّف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيّانا، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أوَ لا تخاف الله؟ إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه**».

٤ – وفي الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنّا: «**إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقّاً**». وفي الثامن من هذا الانجيل نفسه أنّه قال: «**وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حقّ**».

هذه نبذة ممّا في الأناجيل – على ما هي عليه من صغر الحجم – من التضارب والتناقض. وفيها كفاية لمن طلب الحقّ، وجانَبَ التعصّبَ والعناد[1].

(١) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٥٦ – ٥٨.

الدرس الثالث

القرآن الكريم

المعجزة الخالدة

أهداف الدرس

١. بيانُ ضرورة المعجزة وأهمّيتها في هداية النَّاس إلى الله.
٢. بيانُ أنَّ معجزة الإسلام الأساسية والكبرى هي القرآن الكريم.
٣. بيانُ الأوجه المختلفة لإعجاز القرآن.

ضرورة المعجزة

الحكمة الإلهيّة تقتضي تزويد الإنسان بطريق الهداية إلى الله تعالى، غير طريق الحسّ والعقل لقصورهما وعدم قدرتهما بذاتهما على معرفة طريق الهداية إلى الله بكلِّ أبعاده وتفاصيله. فكانت الحاجة إلى طريق آخر غير الحسّ والعقل، وهذا الطريق هو طريق الوحي والنُّبوَّة، أي طريق الغيب: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[1].

وبما أنَّ أفراد النَّاس ليسوا جميعهم مؤهّلين لاستقبال الوحي، فلا بدَّ إذن من الوحي لبعضهم ورجوع الآخرين إليهم لمعرفة إرادة الربّ ومشيئته. وبما أنَّ الوحي ليس أمراً محسوساً للآخرين حتَّى يروه ويعرفوا أنَّ هذا الشخص الذي قد أوحي إليه أنَّه هو النبيّ، كان لا بد من وجود طريق نعرف من خلاله تمييز ذلك الشخص ولياقته لتلقّي الوحي الإلهيّ، ولا بدَّ أنْ تكون لديه علامةٌ على ذلك من قبل الله تعالى. أي لا بدَّ أنْ يكون فيه أثرٌ يدلُّ على ارتباطه بالله عز وجل. وهذه العلامة أو الطريق ليست سوى «**المعجزة**» التي يختصُّ بها النبيّ وحده، والتي تمكِّنُه من فعل أشياءَ يعجزُ سائر النَّاس عن فعلها والإتيان بمثلها.

والمعجزة؛هي أمرٌ خلاف المجاري العاديّة والسنن الطبيعية والتي لا تحصل

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

إلا بقـدرة الحقّ عزّ وجل وإرادته، فتكون هذه المعجـزة دليلاً على شدَّة ارتباط هذا الشخص بالله تعالى، وعلى نبوَّتـه. فالحقّ سبحانه وتعالى، يؤيّد أنبياءه بالمعجزات الباهـرات التي تجعل المرءَ مشدوهـاً إلى صاحبها والذي ما يلبـث أنْ يعترف أنَّه لا يملك شيئاً من عند نفسه، وإنَّما هو مبعوث من الله الحقّ.

وبما أنَّ النَّاس ينجذبون إلى ما هو خارق للعادة، وبما أنّهم لم يقدروا على الإتيان بمثله، فإنّهم يعترفون بعجزهم أمام النبيّ الذي راح يتلو عليهم آيات الله ويلفتهم إلى المعجـزة الكبـرى التي هي سرّ العالم. فالمعجزة إذاً ظاهـرة عامة في كلّ النبوّات، وتأييـد لمدّعاهم السفـارة من الله. وهي فعل يعجز الآخرون عـن الإتيان بمثله، لذا أصبحت طريقاً لمعرفة النبيّ. وللمعجزة علامتان أساسيتان:

الأولى: أنَّه لا يمكن أنْ يتغلّب عليها أيّ عامل آخر أقوى منها.

الثانـي: أنَّها غير قابلة للتَّعلّـم والتَّعليم، وإنَّما هي موهبة إلهية يمنحها الله لمن يشاء من عباده.

معجزة القرآن

العقـل الإنساني يحكـم بضرورة المعجـزة للأنبياء عليهم السلام فيمـا إذا توقّف عليها إتمـام الحجّـة على النَّاس وهدايتهـم، والأنبياء عليهم السلام بشـكل عام لا بـدَّ أنْ يكونوا مؤيّدين بالإعجاز.

القـرآن الكريـم قد ذكر الكثير من معاجز الأنبياء والرسـل كمعجزة «**الناقة**» و«**ولادة النبي عيسـى** عليه السلام» ومعاجز النبي «**موسـى** عليه السلام» ومعاجز النبي «**نـوح** عليه السلام» والنبـي «**إبراهيـم** عليه السلام» والكثير مـن المعاجز التـي حصلت للرسول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم. والملاحظـة المهمَّة في مجـال المعجزات أنَّ جميعَ معجـزات الأنبياء والرسل عليهم السلام باستثناء معجزة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانت مقصورة على الحاضرين، حيث كانت تثبت عندهم بالمشاهدة ثمَّ يتمّ إثباتها للغائبين عن طريق النقل. فجميع

الرِّسالات السَّماوية السَّابقة على الإسلام كانت محدودةً في الزَّمان والمكان، والآيات القرآنيّة تشيرُ إلى ذلك بوضوح.

ولكـن لمَّا كانت رسالة النبـيّ ﷺ هي الرِّسالة الخاتمة حيـث إنَّه لا نبيّ بعده: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1]، وبمـا أنَّه ﷺ لم يُبعثْ لأمَّةٍ محدّدة في مكانٍ محدّد، وزمان معيَّـن، أو زمان خاص، وإنّما أُرسـل إلى النَّاس كافّةً كما تشيرُ الآيات القرآنيّة إلى شموليَّـة دعوته ﷺ وعمومية نبوّته لجميـع البشر: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، فـلا بـد أنْ تتبعه البشريـة منذ ذلك الوقـت إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليهـا، لذا كانت الحكمةُ الإلهيّـةُ تقتضـي تزويد النبيّ ﷺ بمعجزة خالـدة لا تقتصر على زمان خاص، ولا على مكانٍ معيّنٍ.

فرسالةُ الإسلام أبديَّةٌ عالميةٌ، ولا بد أنْ تكونَ معجزته كذلك وقد تحقَّق ذلك في القـرآن الكريم، وهو بنفسه يصرِّح بذلك حيث ينقل عـن البعض قولهم إنَّه لو أردنا أنْ نأتيَ بمثله لفعلنا: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[3]. ولكن القرآن تحدّاهم بصورٍ متعدّدة منها قوله تعالـى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[4].

والصورة الأخرى هي أنَّه تحدّاهم أنْ يأتوا بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾[5].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٥) سورة هود الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

والصورة الثالثة هي أنَّه تحدّاهم أنْ يأتوا بسورة مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

وآيـة أخـرى تتحـدّى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

هكذا كان جوُّ المعارضة في القرآن، بحيث إنَّه لو فكَّر إنسانٌ فيه فسوف يقطع بأنَّ هذا الكتاب منزلٌ من الله تعالى، فهو حديث باللغة العربيَّة مكوّن من حروف وكلمات تستعمـل في الحـوار اليومي، إلا أنَّ أحـداً لا يستطيع أنْ يأتي بسـورة مثله مكوّنة من سطر واحد، لذا كان القرآن الكريم معجزة الرسول الكبرى والخالدة.

وجوه إعجاز القرآن

القـرآن الكريم يؤكـد أنَّه معجزة وأنّـه لا يمكن الإتيان بمثله علـى الإطلاق. وقد كتبت مؤلّفات لهذا الغرض، ولكن نشير إجمالاً إلى وجوه إعجاز القرآن:

مـن جملة وجـوه إعجازه، بلاغتـه. والبلاغة هي صياغة الـكلام بحيث يتفق مع مقتضـى الحال، ويـؤدّي أهدافَ القائل علـى أفضل وجه. فالبلاغـةُ لا تقتصر على اختيـار الكلمات الجميلة والجذّابـة، وإنَّما لا بد بالإضافة إلـى ذلك من الأخذ بعين الاعتبـار هـدف القائل ووضع السَّامـع. ولما كان الله تعالى يعـرف هدفه أفضل من الجميع ويعرف وضع عباده أحسن من كلّ أحد، وهو المحيط بكلِّ التركيبات اللغوية، فإنَّـه تعالـى يستطيع بيان هدفه علـى أساس مـا تقتضيه حال عبـاده وبأفضل وجه ممكـن، أمّا الآخرون فهـم محرومون من مثل هذه الخصائـص. والشاهد على كونه إعجازاً، أنَّه لم يستطع أحد على طول التاريخ أنْ يأتيَ بمثله مع وجود كلِّ هذا التراث الأدبي والبلاغي، الضَّخم ووجود كلِّ الدواعي التي تحمل على المعارضة، فكلّما صاغ

(١) سورة يونس، الآية: ٣٨.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤.

إنسانٌ ما كلاماً وجده المطّلعون وذوو الخبرة أخفض منزلة من القرآن.

ومن وجوه إعجاز القرآن أيضاً عدم وجود الاختلاف فيه: قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1]. فلو كان الكلامُ صادراً من إنسانٍ لوُجِدَ فيه الاختلاف، لأنَّ الإنسان كجميع الموجودات المادّية في حالة تغيُّرٍ دائمٍ ومستمر، فهو يخضع لتأثير العوامل المحيطة المختلفة فيتكامل وتزداد معلوماته وتتغيَّر حالاته، كلُّ هذه الأمور تؤثّر في كلامه فلا يستطيع أنْ يحافظ على لون واحد من الكلام والبلاغة طيلة عمره. فتارة ينخفض مستوى كلامه وأخرى يرتفع.

ومن وجوه إعجاز القرآن أيضاً أنّ حامله شخص لم يتلقّ درساً من العلماء، وكانت طريقته في الحديث مثل سائر النَّاس: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾[2] ثمَّ فجأة يظهر هذا الكلام المنقطع النظير الذي لا يمكن مقارنته بأحاديث النبيّ ﷺ بعد البعثة، وإن كانت بحدِّ ذاتها في مستوىً رفيعٍ من حيث البلاغة والفصاحة. قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[3]. فالرسولُ ﷺ يريد أنْ يقول لأمّته إنَّني قد عشت معكم كلَّ هذا العمر ولم تلاحظوا صدور مثل هذا الكلام منّي وبعد أربعين عاماً من عمري لاحظتم صدور كلام يختلف عن كلامي السابق، فلو لم يكن من الله لوجدتم أنَّه مثل كلامي: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[4].

ومن أهمّ وجوه إعجازه أنَّه كتابٌ جامعٌ لكلِّ مراتب الهداية، وهو كتاب التربية الذي يلامس عمق الفطرة الإنسانية ويرتفع بها إلى أعلى عليّين، في مختلف أبعاد

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٦.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

الإنسان وكل ما يحتاجه في حياته. فالإنسان يستحيل عليه أنْ يكون ملمّاً بجميع المعارف العقائدية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والعسكرية وكلّ ما يحتاجه الإنسان في حياته، وقد ثبت عملياً أنَّ الإنسان إذا أراد أنْ يتقدّم في مجال ما، لا بدَّ أنْ يُنفق كلّ عمره في اتجاه واحد، حتَّى يتخصَّص فيه ويلمّ بمعظم جوانبه، وأمّا أنْ يُحيط الإنسان بجميع التخصّصات والمجالات وينظر بشأنها أيضاً، فهو الإعجاز بعينه والدليل على أنَّه مرتبط بالله العالم بكل شيء.

ومنها أيضاً، أنَّ انفعال الأذواق المتغيّرة عبر العصور وشعور النَّاس بأنه يخاطبهم في عصرهم ومشاكلهم وخصوصيّاتهم دائماً هو دليل إعجاز بنفسه. وأيضاً اعتراف النَّاس والعلماء والمفسّرين بعجزهم عن الإحاطة التامّة به، مع أنَّ كلّ واحدٍ منهم يرى فيه ريّاً لعطشه الذي لا ينتهي.

ومن وجوه الإعجاز الأخرى إتيانه بمواضيع علمية لم تكن مقبولة في ذلك الزمان، من قِبَلِ المحافل العلمية، ثمَّ تقدّمت بعد ذلك وأثبتت صحتها.

ومن وجوه إعجاز القرآن إخباره بالغيب، وتنقسم هذه الأخبار إلى قسمين: قسم منها يتعلَّق بالحوادث الماضية التي لم يكن لأحد من النَّاس سبيل إليها: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1].

والقسم الآخر يتعلَّقُ بالأحداث التي ستقع في المستقبل منها قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[2]. ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الروم، الآيتان: ٢ ـ ٣.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

خلاصة

١- الإنسان ليس بمقدوره الاهتداء إلى طريق الله بواسطة الحواس والعقل لقصورهما وعجزهما، لذا كانت الحاجة إلى طريق آخر غيبيّ، وهذا الطريق هو طريق الوحي والنُّبوَّة.

٢- للمعجزة علامتان أساسيّتان هما: أنّها غير قابلة للتعلّم والتعليم، وأنّه لا يمكن أنْ يتغلّب عليها أيُّ عامل آخر.

٣- كونُ الإسلام رسالة أبدية عالمية، وكون دعوة النبيّ ﷺ ونبوّته لجميع البشر، فهي غيرُ محدَّدةٍ بمكان خاص وزمان خاص، لأجل هذا كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة.

٤- لإعجاز القرآن أوجه عديدة منها؛ البلاغة المنقطعة النظير، عدم وجود أي اختلاف أو تناقض فيه، أنَّ حامله لم يتلقّ درساً في حياته على أحد، وأنه جامع لكلِّ مراتب الهداية وفيه كلّ ما يحتاجه الإنسان بحيث إنَّ كلَّ واحد يجد فيه ريَّاً لعطشه، إخباره بالغيب في موارد كثيرة سواء التي حصلت أو التي سوف تحصل، إتيانه بمواضيع علمية لم تكن معروفةً سابقاً.

الدرس الرابع

فضل القرآن وتلاوته

أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب فضل القرآن في القرآن.
٢. أن يتبيّن فضل القرآن في كلام العترة.
٣. أن يتعرّف إلى صفة القرآن الكريم.

من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يتصاغر أمام هذه العظمة، وقد يكون الاعتراف بالعجز خيراً من المضيّ في البيان.

ماذا يقول الواصف في عظمة القرآن، وعلوّ كعبه؟ وماذا يقول في بيان فضله، وسموّ مقامه؟ وكيف يستطيع الممكن أن يدرك مدى كلام الواجب؟ وماذا يكتب لكاتب في هذا الباب؟ وبمَ يتفوّه الخطيب؟ وهل يصف المحدود إلّا محدوداً؟

القرآن في القرآن

وحسبُ القرآن عظمة، وكفاه منزلةً وفخراً أنّه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيّه الكريم، وأنّ آياته هي المتكفّلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[2].

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

القرآن في كلام العترة

وقد ورد في الأثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[1].

نعم من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأن يَكِلَ بيان فضل القرآن إلى نظراء القرآن أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم أعرف الناس بمنزلته، وأدلّهم على سموّ قدره، وهم قرناؤه في الفضل، وشركاؤه في الهداية، أمّا جدّهم الأعظم فهو الصادع بالقرآن، والهادي إلى أحكامه، والناشر لتعاليمه. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[2]. فالعترة هم الأدلّاء على القرآن، والعالمون بفضله.

فمن الواجب أن نقتصر على أقوالهم، ونستضيء بإرشاداتهم. ولهم في فضل القرآن أحاديث كثيرة جمعها شيخنا المجلسيّ في (البحار) المجلّد التاسع والثمانين منه. نذكر منها:

قال الحارث الهمدانيّ: «**دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على عليّ عليه السلام فقلت: ألا ترى أن أناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال عليه السلام: قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال عليه السلام: أما إنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟ قال عليه السلام: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، هو الّذي مَن تركه من جبّار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه.**

(١) بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٦، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي، ج ١١، ص ٤٧، أبواب فضائل القرآن.
(٢) رواه الترمذي، ج ١٣، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

وهو الّذي لم ينته الجنّ إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[1]، هو الّذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم»[2].

قبسات من الحديث

وفي الحديث مغازٍ جليلة يحسن أن نتعرّض لبيان أهمّها. يقول ﷺ: «**فيه نبأ ما كان قبلكم. وخبر ما بعدكم**» والّذي يحتمل في هذه الجملة وجوه:

الأوّل: أن تكون إشارة إلى أخبار النشأة الأخرى من عالمَي البرزخ والحساب والجزاء على الأعمال. ولعلّ هذا الاحتمال هو الأقرب، ويدلّ على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «**فيه نبأ من كان قبلكم والحكم فيما بينكم وخبر معادكم**».

الثاني: أن تكون إشارة إلى المغيّبات الّتي أنبأ عنها القرآن، ممّا يقع في الأجيال المقبلة.

الثالث: أن يكون معناها أنّ حوادث الأمم السابقة تجري بعينها في هذه الأمّة، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[3].

أمّا قوله ﷺ: «**من تركه من جبّار قصمه الله**» فلعلّ فيه ضماناً بحفظ القرآن من تلاعب الجبّارين، بحيث يؤدّي ذلك إلى ترك تلاوته وترك العمل به، وإلى جمعه من أيدي الناس كما صنع بالكتب الإلهيّة السابقة. فتكون إشارة إلى حفظ القرآن من التحريف. وهذا أيضاً هو معنى قوله في الحديث: «**لا تزيغ به الأهواء**» بمعنى لا تغيّره عمّا هو عليه، لأنّ معاني القرآن قد زاغت بها الأهواء فغيّرتها. وأشار الحديث إلى أن أبناء الأمّة لو رجعوا إلى القرآن في خصوماتهم، وما

(١) سورة الجن، الآية ١.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٤.
(٣) سورة الانشقاق، الآية: ١٩.

يلتبس عليهم في عقائدهم وأعمالهم لأوضح لهم السبيل، ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحقّ والباطل.

فلو أقامت الأمّة حدود القرآن، واتّبعت مواقع إشاراته وإرشاداته، لعرفت الحقّ وأهله، وعرفت حقّ العترة الطاهرة الّذين جعلهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قرناء الكتاب، وأنّهم الخلفاء على الأمّة من بعده، ولو استضاءت الأمّة بأنوار معارف القرآن، لأمنت العذاب الواصب، ولما تردّت في العمى، ولا غشيتهم ليالي الضلال، ولا ضُيّع سهم من فرائض الله، ولا زلّت قدم عن الصراط السويّ، ولكنّها أبت إلّا الانقلاب على الأعقاب، واتّباع الأهواء، والانضواء إلى راية الباطل حتّى آل الأمر إلى أن يكفّر بعض المسلمين بعضاً، ويتقرّب إلى الله بقتله، وهتك حرمته، وإباحة ماله، وأيّ دليل على إهمال الأمّة للقرآن أكبر من هذا التشتّت العظيم؟!!

صفة القرآن

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن:

«ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يُخمد برهانه، وتبياناً لا تُهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشى أسقامه، وعزّاً لا تُهزم أنصاره، وحقّاً لا تُخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغيطانه، وبحر لا يُنزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتمّ به،

وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآيةً لمن توسّم، وجُنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى»[1].

وقد استعرضت هذه الخطبة الشريفة كثيراً من الأمور المهمّة الّتي يجب الوقوف عليها، والتدبّر في معانيها. فقوله:

١- «**لا يخبو توقّده**» خبت النار: خمد لهبها. يريد بقوله هذا وبكثير من جمل هذه الخطبة أنّ القرآن لا تنتهي معانيه، وأنه غضّ جديد إلى يوم القيامة. فقد تنزل الآية في مورد أو في شخص أو في قوم، ولكنّها لا تختصّ بذلك المورد أو ذلك الشخص أو أولئك القوم، فهي عامّة المعنى.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إنّ القرآن حيّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا**»[2].

٢- «**ومنهاجاً لا يضلّ نهجه**»: إنّ القرآن طريق لا يضلّ سالكه، فقد أنزله الله تعالى هداية لخلقه، فهو حافظ لمن اتّبعه عن الضلال.

٣- «**وتبياناً لا تهدم أركانه**»: المحتمل في المراد من هذه الجملة أحد وجهين:

الأوّل: أنّ أركان القرآن في معارفه وتعاليمه، وجميع ما فيه من الحقائق. محكمة لا تقبل التضعضع والانهدام.

الثاني: أنّ القرآن بألفاظه لا يتسرّب إليه الخلل والنقصان، فيكون فيها إيماء إلى حفظ القرآن من التحريف.

٤- «**ورياض العدل وغدرانه**»: الرياض جمع روضة، وهي الأرض الخضرة بحسن النبات. العدل بمعنى الاستقامة، والغدران جمع غدير وهو الماء الّذي تغدره أي تنتجه السيول. معنى هذه الجملة: أنّ العدل بجميع نواحيه من الاستقامة في العقيدة

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص١٧٨.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٥، ص٤٠٤.

والعمل والأخلاق قد اجتمع في الكتاب العزيز، فهو مجمع العدالة وملتقى متفرّقاتها.

٥- «**وأثافي الإسلام**»: الأثافيّ كأمانيّ جمع أثفيّة - بالضمّ والكسر - وهي الحجارة الّتي توضع عليها القدر. ومعنى ذلك: أنّ استقامة الإسلام وثباته بالقرآن كما أنّ استقامة القِدر على وضعها الخاص تكون بسبب الأثافيّ.

٦- «**وأودية الحقّ وغيطانه**»: يريد بذلك: أنّ القرآن منبت الحقّ، وفي الجملة تشبيه القرآن بالأرض الواسعة المطمئنّة، وتشبيه الحقّ بالنبات النابت فيها. وفي ذلك دلالة على أن المتمسّك بغير القرآن لا يمكن أن يصيب الحقّ، لأنّ القرآن هو منبت الحقّ، ولا حقّ في غيره.

٧- «**وبحر لا ينزفه المنتزفون**»: نزف ماء البئر: نزح كله. ومعنى هذه الجملة والجمل الّتي بعدها: أنّ المتصدّين لفهم معاني القرآن لا يصلون إلى منتهاه، لأنّه غير متناهي المعاني، بل وفيها دلالة على أنّ معاني القرآن لا تنقص أصلاً، كما لا تنضب العيون الجارية بالسقاية منها.

٨-«**وآكام لا يجوز عنها القاصدون**»: والآكام جمع أكم، كقصب، وهو جمع أكمة، كقصبة، وهي التلّ. والمراد أنّ القاصدين لا يصلون إلى أعالي الكتاب ليتجاوزوها. وفي هذا القول إشارة إلى أنّ للقرآن بواطن لا تصل إليها أفهام أولي الأفهام.

وقد يكون المراد أنّ القاصدين إذا وصلوا إلى أعاليه وقفوا عندها ولم يطلبوا غيرها، لأنّهم يجدون مقاصدهم عندها على الوجه الأتمّ.

فضل قراءة القرآن

القرآن هو الناموس الإلهيّ الّذي تكفّل للناس إصلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعادة الآخرة والأولى، فكلّ آية من آياته منبع فيّاض بالهداية ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة، فالّذي تروقه السعادة الخالدة والنجاح في مسالك الدين والدنيا، عليه أن يتعاهد كتاب الله العزيز آناء الليل وأطراف النهار، ويجعل آياته الكريمة

قيد ذاكرته، ومـزاج تفكيره، ليسير على ضوء الذكر الحكيم إلى نجاح غير منصرم وتجـارة لـن تبور. وما أكثـر الأحاديث الـواردة عن أئمّة الهـدى عليهم السلام وعن جدّهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في فضل تلاوة القرآن منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية**»[1] وقال عليه السلام: «**مـا يمنـع التاجـر منكم المشـغول في سـوقه إذا رجع إلى منزلـه أن لا ينام حتّى يقرأ سـورة من القرآن فيُكتب له مكان كلّ آية يقرأها عشـر حسـنات، ويُمحى عنه عشـر سـيّئات؟**»[2]. وقال: «**عليكم بتلاوة القرآن، فإنّ درجات الجنة على عدد آيات القـرآن، فـإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: إقرأ وارقَ، فكلّما قرأ آية يرقى درجة**»[3].

وقـد جمعت كتب الأصحاب من جوامع الحديث كثيراً من هذه الآثار الشريفة من أرادهـا فليطلبها. وفي الجزء التاسع عشر من كتاب بحـار الأنوار الشيء الكثير من ذلك.

القراءة في المصحف

دلّـت جملـة من الآثار علـى فضل القراءة فـي المصحف على القـراءة عن ظهر القلب. ومن هذه الأحاديث قول إسحاق بن عمار للصادق عليه السلام: «**جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ قال: فقال لي: لا. بل أقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل. أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة؟**»[4].

(١) الكافي، ج٢، ص٦٠٩.
(٢) م.ن، ج٢، ص٦١١.
(٣) الوسائل، الحرّ العاملي، ج٦، ص١٩٠.
(٤) الكافي، ج٢، ص٦١٤.

وقال عليه السلام: «**من قرأ القرآن في المصحف مُتّع ببصره، وخُفِّف عن والديه وإن كانا كافرين**»[1].

وفي الحثّ على القراءة في نفس المصحف نكتة جليلة ينبغي الالتفات إليها، وهي أنّه لو اكتُفيَ بالقراءة عن ظهر القلب لهُجرت نسخ الكتاب، وأدّى ذلك إلى قلّتها، ولعلّه يؤدّي أخيراً إلى انمحاء آثارها.

على أنّ هناك آثاراً جزيلة نصّت عليها الأحاديث لا تحصل إلّا بالقراءة في المصحف، منها قوله: «**متّع ببصره**» وهذه الكلمة من جوامع الكلم، فيراد منها أنّ القراءة في المصحف سبب لحفظ البصر من العمى والرمد، أو يراد منها أنّ القراءة في المصحف سبب لتمتّع القارئ بمغازي القرآن الجليلة ونكاته الدقيقة، لأنّ الإنسان عند النظر إلى ما يروقه من المرئيّات تبتهج نفسه، ويجد انتعاشاً في بصره وبصيرته.

وكذلك قارئ القرآن إذا سرّح بصره في ألفاظه، وأطلق فكره في معانيه وتعمّق في معارفه الراقية وتعاليمه الثمينة يجد في نفسه لذّة الوقوف عليها، ومتعة الطموح إليها، ويشاهد هشّة من روحه وتطلّعاً من قلبه.

فضل القراءة في البيوت

وقد أرشدتنا الأحاديث الشريفة إلى فضل القراءة في البيوت. ومن أسرار ذلك إذاعة أمر الإسلام، وانتشار قراءة القرآن، فإنّ الرجل إذا قرأه في بيته قرأته المرأة، وقرأه الطفل، وذاع أمره وانتشر. أمّا إذا جعل لقراءة القرآن أماكن مخصوصة فإنّ القراءة لا تتهيّأ لكلّ أحد، وفي كلّ وقت، وهذا من أعظم الأسباب في نشر الإسلام. ولعلّ من أسراره أيضاً إقامة الشعار الإلهيّ، إذا ارتفعت الأصوات بالقراءة في البيوت بكرة وعشيّاً، فيعظم أمر الإسلام في نفوس السامعين لما يعروهم من الدهشة عند

(١) هذه الروايات في أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، ج٢، ص٥٩٦.

ارتفاع أصوات القراء في مختلف نواحي البلد.

ومـن آثـار القراءة في البيوت مـا ورد في الأحاديـث: «**إنّ البيت الّـذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله تعالى فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضـيء لأهل السـماء كما يضيء الكوكب الدرّيّ لأهل الأرض، وإنّ البيت الّذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله تعالى فيه تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين**»[1].

(١) الكافي، ج٢، ص٤٩٩.

خلاصة

القـرآن كلام الله العظيم، ومعجزة نبيّه الكريـم وهو الضامن للبشر بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل. يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**».

هنـاك العديد من الآيـات الكريمة الّتي تتحدّث عن فضل القـرآن، كما أنّ هناك الكثير من الروايات الواردة عن الرسول والعترة الطاهرة عليهم السلام.

إنّ أبنـاء الأمّـة لـو رجعـوا إلى القـرآن في خصوماتهـم، وما يلتبـس عليهم في عقائدهم وأعمالهم لأوضح لهم السبيل. ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحقّ والباطل.

القرآن هو الناموس الإلهـيّ الّذي تكفّل للناس إصلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعـادة الآخـرة والأولى، فكلّ آية مـن آياته منبع فيّاض بالهدايـة ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة.

وقـد دلّت جملة من الأخبـار على فضل القراءة في المصحـف على القراءة عن ظهـر القلب. كمـا أرشدتنا الأحاديث الشريفة إلى فضل القـراءة في البيوت وتعاهد كتاب الله بالتلاوة الدائمة.

(١) سورة الاسراء، الآية: ٩.

ما تكلّمتْ إلّا بالقرآن

قال بعضهم: انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟ فقالت ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[١] فسلّمت عليها، فقلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾[٢] فقلت: أمن الجنّ أنت أم من الإنس؟ قالت: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾[٣] فقلت: من أين أقبلت؟ قالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[٤] فقلت: أين تقصدين؟ قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[٥] فقلت: متى انقطعت؟ قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٦] فقلت: أتشتهين طعاماً؟ فقالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[٧]. فأطعمتها، ثم قلت: هرولي ولا تعجلي، قالت: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٨]. فقلت: أردفك؟ فقالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٩]. فنزلت فأركبتها، فقالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾[١٠]. فلما أدركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟ قالت: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١١]. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[١٢].

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٩.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٤) سورة فصّلت، الآية: ٤٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية:٩٧.
(٦) سورة ق، الآية: ٣٨.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٩) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(١٠) سورة الزخرف، الآية: ١٢.
(١١) سورة ص، الآية: ٢٦.
(١٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[1]. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[2]. فصحت بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجّهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟ قالت: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[3]. فلم أتوها قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[4]. فكافوني بأشياء فقالت: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[5]. فزادوا عليّ، فسألتهم عنها.

فقالوا: هذه أمّنا فضّة جارية الزهراء عليها السلام ما تكلّمت منذ عشرين سنة إلّا بالقرآن[6].

(١) سورة مريم، الآية: ٢١.
(٢) سورة طه، الآيات: ١١ ـ ١٣.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٤) سورة القصص، الآية: ٢٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.
(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٤٣، ص ٨٦ – ٨٧.

الدرس الخامس

الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى أجر القارئ للقرآن الكريم.

٢. أن يعدّد الآداب الظاهريّة لتلاوة القرآن.

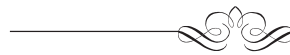

تمهيد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[1].

لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته، حيث يعيش الإنسان فيه مع الله تعالى ويقتبس من نوره. والتلاوة عبادة يُثاب عليها المؤمن ويؤجر على كلّ حرف يقرأه. ولكن كيف نقرأ القرآن، وكيف نستفيد من آياته؟ هل نقرؤه لمجرّد التلاوة؟ أم نقرأه لنجعله نوراً لنا في ظلمات الجهل والدنيا يسدّد وجهتنا ويحسّن مسلكنا؟ ألم يقرع أسماعنا قول رسول الله ﷺ: «**كم من تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه لأنّه أقام حروفه وضيّع حدوده؟**»[2].

والأجر يتفاوت على قدر ما في التلاوة من تدبّر، وعلى قدر ما يؤدّي التدبّر إلى الغاية المطلوبة والهدف المراد الّذي يشير إليه تعالى في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾[3].

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٩.
(٢) البحار، ج٨٩، ص١٨٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

فالمطلـوب أن تتحـوّل تـلاوة القرآن والاستمـاع لآياته إلى تأثّـر وخشوع وخضوع لحضرة الباري سبحانـه وتعالى يتجلّى في مقام العمل هدياً وسلوكاً والتزاماً بأوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه.

وقد تعرّفنا في الدرس السابق إلى فضل القرآن وفضل تلاوته، فيا ترى كيف تكون هذه التلاوة؟ وما هي شروطها؟ وكيف نحصّل الغاية القصوى من منافعها؟

القرآن نور

ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ: «**نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن**»[1].

وفـي المواظبة على التـلاوة ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «**قال رسـول الله ﷺ: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كُتب مـن الذاكريـن، ومن قرأ مائـة أية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كُتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كُتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار من تبر...**»[2].

ولا شـكّ أنّ هذا الأجر المذكـور ليس لمن يقرأ القرآن ويمـرّ عليه مروراً دون أن يتأثّر به قلباً وقالباً، فإذا عرض عليه عارض من الدنيا نسي القرآن وصاحب القرآن، نعـوذ بالله من ذلك، بل الأجر لمـن قرأ وتدبّر بتأدّب وتأمّل وعلـم أنّ الّذي يخاطبه هـو الله سبحانـه الّذي يعلم خائنـة الأعين وما تخفي الصدور. مـن هنا كان حقيقاً علينـا أن نلتفـت ونهتمّ ببعض الآداب الّتي ينبغي أن تقترن بتلاوتنـا للقرآن، ونرجو مـن خلالها أن يكون تعبّدنا هذا موضعاً للقبول من حضـرة الباري سبحانه وتعالى. وقد ذُكرت آداب متعدّدة لتلاوة القرآن بعضها يُعدّ ظاهريّاً وبعضها باطنيّاً، وفي هذا الدرس ستتعرّف للآداب الظاهريّة، وهي كثيرة، على رأسها:

(١) الكافي، الكليني، ج٢، ص٦١٠.
(٢) م.ن، ج٢، ص٦١٢.

١ - الطهارة:

والمقصود بالطهارة الخلوّ من الحدث الأكبر والأصغر بالوضوء أو الغسل أو التيمّم بدلاً عنهما. وقد جعل المولى ثواب قراءة القرآن ثواباً مضاعفاً، ففي الحديث: «**من استمع القرآن كتب له بكلّ حرف حسنة ومن قرأ على وضوء كان له بكلّ حرف خمس وعشرون حسنة**»[١].

وقد صرّح الفقهاء بكراهة قراءة ما زاد على سبع آيات للجنب، مضافاً إلى حرمة قراءته آيات السجدة من سور العزائم الأربع: «**العلق**» و«**النجم**» و«**فصّلت**» و«**السجدة**».

٢- تنظيف الفم:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّي لأحبّ للرجل إذا قام بالليل أن يستاك وأن يشمّ الطيب فإنّ الملك يأتي الرجل إذا قام بالليل حتّى يضع فاه على فيه، فما خرج من القرآن من شيء دخل جوف ذلك الملك**»[٢].

فالفم هو طريق القرآن، ولا يليق بطريق القرآن إلّا أن يكون طيّباً نظيفاً؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**نظّفوا طريق القرآن**» قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما طريق القرآن؟ قال: «**أفواهكم**» قيل: بماذا؟ قال: «**بالسواك**»[٣].

وفي حديث آخر: «طيّبوا أفواهكم بالسواك فإنّها طرق القرآن».[٤]

٣ - استقبال القبلة والإقبال التامّ على التلاوة:

ينبغي لقارىء القرآن أن يستقبل القبلة، ويجلس بتأدّب وخشوع، ويقبل على التلاوة متفرّغاً لها، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

(١) الفصول المهمّة، الحر العاملي، ج٣، ص٣٢٠.
(٢) المحاسن، ص٥٥٩، والبحار، ج٧٧، ص٣٤٣.
(٣) م.ن. ص٥٥٨.
(٤) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٣٩٧.

«**قارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خالٍ. فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم**»[١].

٤ - البدء بالاستعاذة:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[٢].

من كمال الأدب أن يشرع القارئ في القراءة بالاستعاذة، ويقصد بها تطهير القلب من تلوّثات الوسوسة الصارفة عن ذكر الله تعالى.

وختم القراءة بقوله: صدق الله العليّ العظيم. ويدعو بالمأثور في بدء التلاوة وبعد الفراغ منها كما كان يفعل الأئمّة عليهم السلام.

٥ - قراءة القرآن في المصحف:

وفي بعض الروايات ما يفيد أفضليّة قراءة القرآن مطالعة على قراءته حفظاً. وتظهر هذه الأفضليّة في الآثار المترتّبة، وقد ذكرنا في الدرس السابق بعضاً منها ونضيف ما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «**أفضل عبادة أمّتي تلاوة القرآن نظراً**»[٣].

٦ - الترتيل بصوت حسن:

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[٤].

والترتيل هو بيان الحروف وإظهارها وحفظ الوقوف.

والمراد بحفظ الوقوف أن لا يقف القارئ كيفما كان، بل يقف حيث يكون الوقف حسناً. والمراد ببيان الحروف أن يُخرج الحروف كما ينبغي من جهر وهمس وإطباق واستعلاء على ما ذكره علماء التجويد.

(١) مستدرك الوسائل، ج٤، ص٢٤١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٨.
(٣) المحجة البيضاء، ج٢، ص٢٣١.
(٤) سورة المزمل: الآية ٤.

والترتيل كما في بيان الإمام الصادق عليه السلام هو: «**أن تتمكّث فيه وتحسّن به صوتك**»[1].

فتقرأ بإمعان من غير استعجال بحيث لو أراد السامع أن يعدّ الحروف لأوشك أن يعدّها. وتحسّن به الصوت في خشوع وخشية.

وقال عليه السلام أيضاً: «**زيّنوا القرآن بأصواتكم**»[2].

والمقصود من حسن الصوت ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الّذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**»[3].

ويستفاد من الروايات أنّ الصوت الحسن يترك أثراً في قلب القارئ والمستمع على حدّ سواء، الأمر الّذي يساهم في تليين القلوب القاسية، فإنّ كلام الله شفاء من كل مرض قلبيّ.

(١) بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٩١.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٥.
(٣) م. ن. ج٣، ص٢٥٢٥.

خلاصة

لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته، حيث يعيش الإنسان فيه مع الله تعالى ويقتبس من نوره. والتلاوة عبادة يثاب عليها المؤمن ويؤجر على كلّ حرف يقرأه. فللقراءة القرآنيّة آداب لا بدّ أن نلتزم بها حتّى نحصّل أقصى درجات الأجر من الباري سبحانه وتعالى. وقد ذُكرت آداب متعدّدة لتلاوة القرآن بعضها يُعدّ ظاهريّاً وبعضها باطنيّاً.

والآداب الظاهريّة كثيرة، على رأسها:

١- الطهارة.

٢- تنظيف الفم.

٣- استقبال القبلة والإقبال التام على التلاوة.

٤- البدء بالاستعاذة.

٥- قراءة القرآن في المصحف.

٦- الترتيل بصوت حسن.

القرآن وأسرار الخليقة

أخبر القرآن الكريم في غير واحدة من آياته عمّا يتعلّق بسنن الكون، ونواميس الطبيعة، والأفلاك، وغيرها ممّا لا سبيل إلى العلم به في بدء الإسلام إلّا من ناحية الوحي الإلهيّ. وبعض هذه القوانين وإن علم بها اليونانيّون في تلك العصور أو غيرهم ممّن لهم سابق معرفة بالعلوم، إلّا أنّ الجزيرة العربيّة كانت بعيدة عن العلم بذلك. وإنّ فريقاً ممّا أخبر به القرآن لم يتّضح إلّا بعد توفّر العلوم، وكثرة الاكتشافات. وهذه الأنباء في القرآن كثيرة.

وقد أخذ القرآن بالحزم في إخباره عن هذه الأمور، فصرّح ببعضها حيث يحسن التصريح، وأشار إلى بعضها حيث تحمد الإشارة، لأنّ بعض هذه الأشياء ممّا يستعصي على عقول أهل ذلك العصر، فكان من الرشد أن يشير إليها إشارة تتّضح لأهل العصور المقبلة حين يتقدّم العلم، وتكثر الاكتشافات.

ومن هذه الأسرار الّتي كشف عنها الوحي السماويّ، وتنبّه إليها المتأخّرون ما في قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾[1].

فقد دلّت هذه الآية الكريمة على أن كلّ ما ينبت في الأرض له وزن خاصّ، وقد ثبت أخيراً أنّ كل نوع من أنواع النبات مركّب من أجزاء خاصّة على وزن مخصوص، بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك مركّباً آخر. وإن نسبة بعض الأجزاء إلى بعض من الدقّة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقاً بأدقّ الموازين المعروفة للبشر.

ومن الأسرار الغريبة الّتي أشار إليها الوحي الإلهيّ حاجة إنتاج قسم من الأشجار والنبات إلى لقاح الرياح. فقال سبحانه: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[2].

(١) سورة الحجر، الآية: ١٩.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

فـإنّ المفسّريـن الأقدميـن وإن حملوا اللّقاح فـي الآية الكريمـة على معنى الحمـل، باعتبار أنّه أحد معانيه، وفسّروا الآية المباركة بحمل الرياح للسحاب، أو المطـر الّذي يحملـه السحاب، ولكنّ التنبيه على هـذا المعنى ليس فيه كبير اهتمـام، ولا سيّما بعد ملاحظـة أنّ الرياح لا تحمل السحـاب، وإنّما تدفعه من مكان إلى مكان آخر.

والنظرة الصحيحـة في معنى الآية بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات تفيدنا سـرّاً دقيقاً لم تدركه أفكار السابقيـن، وهو الإشارة إلى حاجة إنتاج الشجر والنبات إلـى اللّقـاح، وأنّ اللّقاح قـد يكون سببه الريـاح، وهذا كما في المشمش والصنوبر والرمّـان والبرتقال والقطن، ونباتـات الحبوب وغيرها، فـإذا نضجت حبوب الطلع انفتحـت الأكياس، وانتثرت خارجها محمولة على أجنحة الرياح فتسقط على مياسم الأزهار الأخرى عفواً.

وقـد أشار سبحانه وتعالى إلى أنّ سنّة الزواج لا تختصّ بالحيوان، بل تعمّ النبات بجميع أقسامه بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[1].

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ومن الأسرار الّتي كشف عنها القرآن هي حركة الأرض، فقد قال عزَّ من قائل:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[3].

تأمّـل كيف تشيـر الآية إلى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتّضـح إلّا بعد قرون، وكيـف تستعيـر للأرض لفظ المهـد الّذي يُعمـل للرضيع، يهتـزّ بنعومـة لينام فيه مستريحـاً هادئاً، وكذلك الأرض مهد للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعيّة والانتقاليّـة. وكما أنّ تحـرّك المهد لغاية تربية الطفـل واستراحته، فكذلك الأرض،

(١) سورة الرعد، الآية: ٣.
(٢) سورة يس، الآية: ٣٦.
(٣) سورة طه، الآية: ٥٣، وسورة الزخرف، الآية: ١٠.

فـإنّ حركتهـا اليوميّة والسنويّة لغاية تربية الإنسان بـل وجميع ما عليها من الحيوان والجمـاد والنبات. تشير الآية المباركة إلى حركـة الأرض إشارة جميلة، ولم تصرّح بها لأنّها نزلت في زمان أجمعت عقول البشر فيه على سكونها، حتّى أنّه كان يعدّ من الضروريّات الّتي لا تقبل التشكيك.

ومـن الأسرار الّتـي كشف عنها القرآن قبل أربعة عشر قرنـاً: وجود قارّة أخرى. فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[1].

وهذه الآية الكريمة قد شغلت أذهان المفسّرين قروناً عديدة، وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتّى. فقال بعضهم: المراد مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرباهما، وحمله بعضهم على مشرقَيّ الصيف والشتاء ومغربيّهما. ولكنّ الظاهر أنّ المراد بها الإشارة إلى وجود قارّة أخرى تكون على السطح الآخر للأرض يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنّا، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[2].

فـإنّ الظاهـر من هذه الآيـة أنّ البعد بين المشرقين هو أطـول مسافة محسوسة فـلا يمكن حملها على مشرقَي الشمس والقمر ولا على مشرقي الصيف والشتاء، لأنّ المسافـة بين ذلك ليست أطـول مسافة محسوسة، فلا بدّ مـن أن يراد بها المسافة الّتـي ما بين المشرق والمغرب. ومعنى ذلـك أن يكون المغرب مشرقاً لجزء آخر من الكرة الأرضيّة ليصحّ هذا التعبير، فالآية تدلّ على وجود هذا الجزء الّذي لم يُكتشف إلّا بعد مئات من السنين من نزول القرآن.

فالآيات الّتي ذكرت المشرق والمغرب بلفظ المفرد يراد منها النوع كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[3].

(١) سورة الرحمن، الآية: ١٧.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

والآيـات الّتي ذكرت ذلك بلفـظ التثنية يراد منها الإشارة إلـى القارّة الموجودة على السطح الآخر من الأرض.

والآيـات الّتـي ذكرت ذلك بلفـظ الجمع يراد منهـا المشارق والمغـارب باعتبار أجزاء الكرة الأرضيّة كما نشير إليه[1].

(١) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٧٠ - ٧٤.

الدرس السادس

الآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى الآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن.

تلاوة القرآن حقّ تلاوته:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾[1].

فللقرآن حقّ علينا وينبغي أن نوفيه حقّه برعاية جملة من الآداب أثناء تلاوته والاستماع إليه. وفي تفسير الآية يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**يرتّلون آياته ويتفهّمون معانيه ويعملون بأحكامه ويرجون وعده ويخشون عذابه ويتمثّلون قصصه ويعتبرون أمثاله ويأتون أوامره ويجتنبون نواهيه..**»[2].

وأفضل التلاوة تلك الّتي تحقّق الهدف القرآنيّ الأوّل وهو الهداية، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

ولحصول الهداية هناك أمور ينبغي مراعاتها، أهمّها:

١- الإخلاص في القراءة:

من الآداب المفيدة في تلاوة القرآن الكريم الإخلاص. وقد وردت بذلك روايات كثيرة. منها ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتّخذه بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على الناس. ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

القرآن. ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله الغيث من السماء، فوالله لَهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر»[١].

٢- التدبّر في القرآن:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢].

فالقراءة الّتي لا تدبّر فيها لا خير فيها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٣].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«إنّي لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن»**[٤].

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه»**[٥].

وعنه عليه السلام أنّه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم، فقال له رجل: جُعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال عليه السلام: **«إنّه كان يعرف تفسير قوله تعالى: إنّ الّذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد..»**[٦].

وعن الزهريّ قال سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: **«آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزائنه فينبغي لك أن تنظر فيها»**[٧].

(١) أصول الكافي، ج٢، ص٦٠٤.
(٢) سورة محمد، الآية:٢٤.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٣٢.
(٥) بحار الأنوار، ج٢، ص٤٩.
(٦) قريب منه في تفسير القمي، ج٢، ص١٤٧.
(٧) بحار الأنوار، ج٩٢، ص٢١٩.

٣- التفكّر:

من الآداب المهمّة لقراءة القرآن التفكّر. وقد كثرت الدعوة إلى التفكّر في القرآن الشريف.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

والروايات أيضاً في التفكّر كثيرة، فقد نُقل عن رسول الله ﷺ لمّا نزلت الآية الشريفة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣].

قال ﷺ: «**ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها**»[٤].

٤- التأثّر والخشية:

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۞ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٥].

وهذه أحوال المستمع لتلاوة القرآن المتدبّر فيه فكيف بمن يتلوه بنفسه؟

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٦].

٥- البكاء والحزن:

فقد ورد عن النبيّ ﷺ: «**من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرقّ قلبه ولا يكتسي حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده؟**»[٧].

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٤) زبدة البيان، المحقّق الأردبيلي، ص١٤٠.
(٥) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٢١.
(٧) البحار، ج٨٢، ص٤٣.

وورد في الخبر: «**اقرأوا القرآن بالحزن**»[١].

وفي نهج البلاغة: «**الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم**»[٢].

والقرآن كلام الحقّ ومن الأدب حين نقرأ هذا الكلام أن نكبره ونعظّمه؛ فلا نستهين بأوامره ونواهيه وإنذاره ووعيده وما ينبىء عنه من حقائق وأسرار.

فإنّ عظمة الله تعالى وقدرته المطلقة تجلّت لعباده في القرآن الكريم. ومن كمال الأدب ونحن نقرأ القرآن أن نستحضر الحزن في قلوبنا والدمعة في عيوننا، والخوف والشفقة في نفوسنا كما هو حال النبيّ ﷺ حين كان يستمع إلى القرآن الكريم، فقد كانت عيناه تفيضان بالدمع. وكان ﷺ يقول: «**ما من عين فاضت من قراءة القرآن إلّا قرّت يوم القيامة**»[٣].

ومن لم يجد في نفسه خشية وانكساراً فليتباكَ لقوله ﷺ: «**اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا**»[٤].

وعن أمير المؤمنين في وصف المتّقين«**يُحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نُصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم**»[٥].

٦- التطبيق:

ومن الآداب المهمّة لقراءة القرآن الّتي تنيل الإنسان نتائج كثيرة واستفادة غير محدودة: التطبيق.

فمن أراد أن يأخذ من القرآن الشريف الحظّ الوافر فلا بدّ له أن يطبّق كلّ آية شريفة على حالات نفسه حتّى يستفيد استفادة كاملة، مثلاً يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٨.
(٢) نهج البلاغة، ج٣، ص٧٧.
(٣) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٢٩.
(٤) الأمالي، السيد المرتضى، ج١، ص٢٥.
(٥) نهج البلاغة، خطبة المتقين، ج٢، ص١٦١.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

فلا بدّ للسالك أن يلاحظ هذه الأوصاف الثلاثة منطبقة عليه، وهل قلبه يَجِلُ إذا ذُكر الله ويخاف؟ وإذا تُليت عليه الأيات الشريفة هل يزداد إيماناً في قلبه؟ وهل اعتماده وتوكّله على الله تعالى أم أنّه محروم من ذلك؟

فإذا كان محروماً فليسعَ لتحصيل هذه الصفات. وهكذا كلّ آية يمرّ عليها يطبّقها خارجاً، فالقرآن كتاب تطبيق لا كتاب ترتيل فحسب.

فكما أنّ خُلُق الرسول كان القرآن، فينبغي على القارئ المؤمن أن يكون خُلُقه القرآن.

القرآن يخاطبنا

وعلى كلّ مؤمن أن يستصحب في وعيه دائماً أنّ قضايا القرآن ومفاهيمه ومواعظه ليست من قضايا الماضي الّذي كان، إنّما هي قضيّة اللّحظة وكلّ لحظة، إنّها قضيّتنا نحن، والخطاب فيها هو لنا نحن بالذّات لا لقوم آخرين كانوا، أو لغيرنا، بل لنا ولكلّ فرد فينا. وينبغي أن يستشعر القارىء للقرآن أنّه هو المخاطَب بالذّات وأنّ القرآن ليس كتاب مطالعة يقرأ فيه عن عصر من التاريخ فات.

وعندما يتفكّر القارئ للقرآن في كلّ آية من آياته الشريفة ويطبّق مفادها على حاله ونفسه فإنّه يرفع نقصانه بواسطة هذا التطبيق ويشفي أمراضه به. فعندما يقرأ مثلاً قصّة إبليس وطرده من مقام القرب مع تلك السجدات والعبادات الطويلة ويتساءل لماذا كان ما كان؟ يجد أنّ مقام القرب الإلهيّ هو مقام المطهّرين، ومع التلبّس بالأوصاف والأخلاق الشيطانيّة لا يمكن القدوم إلى ذلك القرب، فيبادر إلى التخلّص منها ليحصّل مقامَ القرب، بحيث نشعر دائماً بحياة القرآن وأنّه حيّ دائماً، ليهب الحياة إلى قلوبنا وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدس الله تعالى.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

مهجوريّة القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[1].

إنّ مهجوريّة القرآن لها مراتب، ولعلّنا متّصفين بالعمدة منها. أترى أنّنا إذا جلّدنا المصحف الشريف جلداً نظيفاً وقيّماً أو إذا قرأناه أو استخرنا به وقبّلناه ووضعناه على أعيننا، لا نكون هاجرين له؟ أترى إذا صرفنا غالب عمرنا في تجويده والاهتمام في جهاته اللغويّة والبيانيّة والبديعيّة، ما اتّخذناه مهجوراً؟ هل أنّنا إذا تعلّمنا القراءات المختلفة ما اتخذناه مهجوراً؟

إنّ عمدة هجر القرآن هي عدم تطبيقه في حياتنا الخاصّة والعامّة. ونحن للأسف قد نكون متّصفين بهذه المرتبة من الهجر، حيث لا نأخذ تعاليم القرآن في حسباننا!.

خلاصة

للقرآن حقّ علينا وينبغي أن نوفّيه حقّه برعاية جملة من الآداب أثناء تلاوته والاستماع إليه، ومن هذه الآداب:

الإخلاص والتدبّر، فالقراءة الّتي لا تدبّر فيها لا خير فيها، ثم يأتي التفكّر فالتأثّر والخشية من الله تعالى فالبكاء والحزن. ولعلّ أهم آداب القرآن تطبيقه على حياتنا كما كان رسول الله يوصف بأنّ خُلُقه القرآن. فإنّ خُلُقنا ينبغي أن يكون مشابهاً. وإنّ عمدة هجر القرآن هو عدم تطبيقه في حياتنا الخاصّة والعامّة. ونحن للأسف قد نكون متصفين بهذه المرتبة من الهجر، حيث لا نأخذ تعاليم القرآن في حسباننا!.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

النبع الفيّاض

يقول الإمام الخميني قدس سره «أوصي الأخوة الأعزاء أن لا يغفلوا... عن الاستئناس بالقرآن الكريم، هذه الصحيفة الإلهيّة وكتاب الله الهادي، فكلّ ما عند المسلمين وما سيكون عندهم خلال عصور التاريخ الماضية والقادمة إنّما هو من البركات المغدقة لهذا الكتاب المقدّس. وبهذه المناسبة أطلب من كلّ العلماء الأعلام وأبناء القرآن والعلماء العظام أن لا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدّس الّذي فيه تبيان كلّ شيء،...

والآن فإنّ الصورة المدوّنة لهذا الكتاب المأخوذ عن لسان الوحي بعد النزول قد وصلت إلى أيدينا كاملة دون زيادة حرف أو نقصان حرف، فالحذر الحذر من هجره لا سمح الله.

نعم، الأبعاد المختلفة لهذا الكتاب بكلّ آفاقها ليست في متناول البشر العاديّين لكن على أهل المعرفة والتحقيق في الفروع المختلفة أن ينهلوا بقدر علمهم ومعرفتهم وكفاءاتهم من هذا الكنز العرفانيّ الإلهيّ الفيّاض والبحر الموّاج النازل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ويقدّموه بتعبيرات مختلفة قريبة للأذهان إلى الآخرين... والمتّقون التوّاقون إلى الهداية عليهم أن يحملوا بارقة ممّا أخذوه من نور التقوى عن هذا النبع الفيّاض بالهدى للمتّقين إلى العشّاق الوالهين إلى الهداية الإلهيّة.

وأخيراً على كلّ مجموعة من العلماء الأعلام والمفكّرين العظام أن يشمّروا عن ساعد الجدّ لتناوُلٍ بعدٍ من الأبعاد الإلهيّة لهذا الكتاب المقدّس، ويقدّموا بأقلامهم ما يحقّق آمال عشّاق القرآن.

ولتنفقوا أوقاتكم في الأبعاد السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والعسكريّة

والثقافيّة في القرآن، وما فيه من مسائل الحرب والسلم، ليتبيّن أنّ هذا الكتاب مصدر كلّ شيء من عرفان وفلسفة وأدب وسياسة...

فيا أيّتها الحوزات العلميّة والمحافل الدراسيّة الجامعيّة، انهضي وأنقذي القرآن من شّر الجاهلين المتنسّكين والعلماء المتهتّكين الّذين يهتكون حرمة القرآن عن عمد وجهل. وأقول عن جدّ لا عن مجاملة إنّي آسف على ما فات من عمري في خطأ وجهل. وإنّكم يا أبناء الإسلام الغيارى في الحوزات والجامعات ابعثوا في الحوزات والجامعات يقظة تدفعها إلى الاهتمام بشؤون القرآن وأبعاده المختلفة الكثيرة.

اجعلوا تدريس القرآن نصب أعينكم في جميع أبعاده، كي لا تندموا وتأسفوا لا سمح الله على ما فات من شبابكم حين يهجم عليكم ضعف الشيب في آخر العمر، مثل كاتب هذه السطور»[1].

(١) صحيفة الإمام الخميني قدس سره، ج٢٠، ص٨١.

الدرس السابع

الموانع والحجب
بين المستفيد والقرآن

أهداف الدرس

١. معرفة الحجب الظَّلمانية التي تحول بين الإنسان والاستفادة من كتاب الله.

٢. التعرُّف على أهمّ هذه الحجب والموانع التي تصدُّ عن سبيل كتاب الله.

٣. الاستفادة من معرفة الحجب والموانع في عملية رفعها وإزالتها.

مقدّمة:

إذا صارت عظمة كتاب الله معلومةً من جميع الجهات، وانفتحَ على الإنسان طريقُ الاستفادة الحقيقية منه، عندها ينبغي على المتعلّم والمستفيد من كتاب الله أنْ يجري أدباً آخر من الآداب المهمَّة حتَّى تحصل الاستفادة التَّامة، وهو رفع الموانع والعوائق الأساسية التي تحول دون الاستفادة الكاملة منه. وهذه الموانع نعبّر عنها بالحجب بين المستفيد والقرآن، وهذه الحجب كثيرة نشير إلى بعضها:

حجاب رؤية النَّفس مستغنيةً:

من الحُجب العظيمة التي تحول بين الإنسان وبين الاستفادة من كتاب الله العزيز؛ حجابُ رؤية النفس مستغنية عن كتاب الله، حيث يرى المتعلّم نفسه بسبب هذا الحجاب مستغنٍ عنه أو غير محتاجٍ للاستفادة منه. وهذا يُعتبر من أكبر وأخطر مكائد الشَّيطان الذي يُزيّن للإنسان دائماً الكمالات الموهومة، ويرضيه ويقنعه بما هو عليه، وما في يديه من الكمالات المحدودة الفانية والزائلة، ويسقط من عينه كلّ ما ليس بحوزته.

مثلاً: قد يقنع الشيطان أهل التجويد بذاك العلم الجزئي ويزيّنه في أعينهم ويسقط سائر العلوم من أعينهم ويطبّق معنى «**حملة القرآن**» عليهم، ويحرمهم من فهم الكتاب الإلهيّ النوراني ومن الاستفادة منه. ويمكن أن يُرضيَ أصحاب الأدب

واللغة بتلك الصُّورة اللغوية والظاهريَّة الفاقدة للّب، ويصوّرَ لهم أنَّ جميع شؤون القرآن موجودة عندهم. وقد يشغل أهل التفاسير المتعارفة بوجوه القراءات، والآراء المختلفة لأصحاب اللغة، ووقت النزول، وشأن النزول، وكون الآيات مكيَّة أو مدنيَّة وتعدادها، وتعداد الحروف وأمثال تلك الأمور...

فعلى كلِّ باحث عن الاستفادة الحقيقية من كتاب الله، أنْ يخرقَ جميع هذه الحجب، فلا يقف عندها بل عليه أنْ ينظرَ إلى ما هو أبعد من هذه الأمور، ولا يقنع عند حدّ معيّن من القرآن الشّريف لكي لا يتأخّر عن قافلة السالكين فيُحْرَمَ من الدَّعوات الإلهيّة للاستفادة من هذه المأدبة السماوية.

والإشارة إلى هذا المعنى في القصص القرآنيّة كثيرة. فالنبي موسى كليم الله عليه السلام مع ما له من المقام العظيم في النُّبوَّة، لم يقتنع بذلك المقام ولم يتوقّف عند مقام علمه الشَّامخ، بل بمجرَّد أن التقى بإنسان كامل كالخضر عليه السلام قال له بمنتهى التواضع والخضوع: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1] وصار ملازماً لخدمته حتَّى أخذ منه العلومَ التي احتاج إليها.

والنبي إبراهيم عليه السلام لم يقتنع بمقام الإيمان والعلم الشامخ الخاص بالأنبياء فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[2]، فأراد أن يرتقي من مقام الإيمان القلبي إلى مقام الاطمئنان الشهودي. وهناك ما هو أعظم من ذلك حيث يأمر الله تبارك وتعالى نبيّه الخاتم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعرف خلق الله على الإطلاق في الآيةِ الكريمةِ الشّريفةِ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3] بأنْ لا يقف عند حدّ في طلب العلوم الربّانية والاستزادة منها. فهذه الأوامر الإلهيّة ونقل قصص الأنبياء وغيرها، إنّما هي لأجلِ أنْ يتنبَّهَ النَّاسُ ويستيقظوا من نوم الغفلة الذي يتخبَّطون فيه.

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

حجاب الآراء الفاسدة والعقائد الباطلة:

ومـن الحجـب المانعة أيضـاً التي تصـدّ عن الاستفـادة الصَّحيحة مـن القرآن الكريـم؛ حجاب الآراء الفاسدة والعقائد الباطلة، التي قد يكون سببها سوء استعداد الشخص، والأغلب أنَّ سبَبَها الأساسيَّ هو التبعيَّةُ والتَّقليدُ الأعمى للغير.

وهـذا الحجاب من الحجب الرَّئيسة التي تحجُـبُ الإنسان عن معارف القرآن وحقائقه النُّورانيَّة، فمثلاً إذا رسخ في قلوبنا اعتقادٌ ما بمجرّد الاستماع إلى الأب أو الأم أو بعض الجهلة، فإنَّ مثل هذه العقيـدة قد تكون حجاباً بيننا وبين الآيات الشّريفـة الإلهيّـة. وإذا وردت آلاف الآيات والرِّوايات التـي تخالف تلك العقيدة، فإمّا أن نصرفها عن ظاهرها أو أن لا ننظر فيها نظر الفهم. والأمثلة فيما يرجع إلـى العقائد والمعـارف كثيرة، نشير إلى واحـدةٍ منها من باب المثـال حيث إنَّه أسهل للفهم.

إنَّ تلـك الآيات الكثيرة الراجعـة إلى معرفته ولقائه، والرِّوايـات الكثيرة في هذا الموضـوع، والإشارات العديدة والكنايات والتصريحات المتنوّعة في أدعية ومناجاة الأئمـة عليهم السَّلام، مثل هذه الشواهد الكثيرة بمجـرّد ما تصطدم بتلك العقيدة التـي انتشرت بين عوام النَّاس أنّ طريق معرفة الله مسدود بشكل كامل أمامنا نحن البشر العاديون، حيث يقيسون باب معرفة الله ومشاهدة جماله على باب الممنوع بل والممتنـع في التفكُّر بذاته المقدّسـة. فإمّا أن يؤوّلوا ويوجّهوا تلك الآيات والرِّوايات، وكذلـك الإشارات والكنايـات والتصريحات فـي أدعية الأئمة ومناجاتهـم، وإمّا ألّا يدخلـوا في هذا الميـدان أصلاً ولا يفتحوا على أنفسهم تلـك المعارف التي هي قرّة عيـن الأنبياء والأولياء. وممّـا يوجب الأسف الشَّديد لأهـل الله، أنَّ باباً من المعرفة الـذي يمكـن أن يقال أنَّه غاية بعثـة الأنبياء ومنتهى مطلوب الأوليـاء، قد سدّوه على النَّاس حتَّى صار التفوّه به، عند البعض كفراً محضاً ومحض الزندقة.

حجاب شبهة التفسير بالرأي:

ومن الحجب الغليظة المانعة من الاستفادة من هذه الصَّحيفة النُّورانية، الاعتقاد بأنّـه ليس لأحدٍ حقُّ الاستفادة من القرآن الشّريـف إلا من خلال ما كتبه المفسّرون وفهمـوه. فقد اشتبه على النَّاس التفكُّر والتدبّر في الآيات الشّريفة بالتفسير بالرأي الممنـوع. ومـن خلال هذا الرأي الفاسـد والعقيدة الباطلة جعلوا القـرآن عارياً من جميع فنون الاستفادة واتَّخذوه مهجوراً كُلياً.

إنَّ مـن المحتمـل بل مـن المظنـون أن التفسير بالـرأي المنهي عنـه هو الراجع إلـى آيات الأحـكام الشرعية التي تقصر عنها أيـدي الآراء والعقول، والتي لا بد وأن تؤخـذ بصرف التعبّد والانقيـاد من خزّان الوحي ومهابط ملائكـة الله، لا إلى آيات المعـارف والعلوم العقلية والأخلاقية. كما أنّ أكثر الرِّوايات في هذا الباب وردت في مقابـل فقهاء العامة الذين كانـوا يريدون أن يفهموا ديـن الله بعقولهم وقياساتهم. ومـا في بعض الرِّوايـات الشّريفة من أنَّه: «**ليس شـيء أبعد عن عقـول الرجال من تفسـير القـرآن**»[1]، وكذلك الروايـة الشّريفة: «**إنّ ديـن الله لا يصـاب بالعقول**»[2] تشهـدُ بأنَّ المقصود من دين الله الأحـكام التعبّديّة للدين، وإلا فباب إثبات الصانع والتَّوحيـد والتقديس واثبات المعاد والنُّبوَّة بل مطلق المعارف حقّ مطلق للعقول ومن مختصَّاتها.

حجابُ الذُّنوب والمعاصي:

ومـن الحجـب المانعة من فهـم القـرآن الشّريف، ومـن الاستفادة مـن معارف هـذا الكتاب السَّماويّ ومواعظـه، حجاب المعاصي والذُّنـوب الحاصلة من الطغيان وعصيان ربّ العالمين؛ التي تحجب القلب عن إدراك الحقائق الإلهيّة العزيزة، يقول تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

(١) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٩٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٣٠٣.

فلـكلِّ عمـلٍ من الأعمـال الصالحـة أو السيّئـة صـورةٌ وتأثيرٌ في الآخـرة وعالم الملكوت تتناسب معه، وله صورةٌ أيضاً وتأثيرٌ في النَّفس الإنسانيَّة وملكوتها، تحصلُ بواسطتهـا إمّا النُّورانيةُ في النَّفـس، فيكون القلب مطهَّراً ومنـوَّراً، وفي هذه الحالة تكـون النَّفس كالمرآة المصقولة الصافية، اللائقة للتجليات الغيبيّة وظهور الحقائق والمعـارف فيه. وإمّـا أن يصير باطن النفس بهذه الأعمال ظلمانياً وخبيثاً، وفي هذه الصُّورة يكون القلب كالمرآة المدنّسة، فلا تنعكس فيها المعارف الإلهيّة ولا الحقائق الغيبيّـة. فيقع قلب الإنسان في هذه الحالة وبالتّدريـج تحت سلطة الشَّيطان، ويكون إبليس اللَّعين هو المتصرِّفُ في مملكة روحه. ويقع السّمع والبصر وسائر القوى أيضاً تحـت تصرّف ذاك الخبيث، وينسدُّ السَّمعُ بالكلِّية عـن المعارف والمواعظ الإلهيّة. ولا ترى العين الآيات الباهرة الإلهيّة، وتعمى عن الحقّ وآثاره وآياته، ولا يتفقّهُ القلب فـي الدِّين ويحرم من التفكُّر فـي آيات الحقّ وتذكّرها، كما قـال الحقّ تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1]. فيكـون نظـره إلى العالم كنظر الأنعـام المحرومة من نعمة التفكُّر والتدبّـر، ويصبـح قلبه كقلوب الحيوانات التي لا نصيب لها مـن التفكُّر والتذكّر، بل يمكـن أنْ تزدادَ حالـةُ الغفلة والاستكبار فيه يوماً بعد يوم مـن جرّاء عدم النظر في الآيات الإلهيّة وسماع المواعظ الربّانية، فيغدو أرذل وأضلّ من الحيوان.

حجاب حب الدُّنيا:

ومـن الحجب الغليظة التي هي مانع سميـك بيننا وبين معارف القرآن ومواعظه؛ حجـابُ حبِّ الدُّنيـا. حيث يصرف القلب تمـام همّته في الدُّنيا فتكـون وجهة القلب تمامـاً إلى الدُّنيا ويغفل القلب بواسطة هذه المحبّة عن ذكر الله ويعرض عنه. وكلّما ازداد التعلّـق بالدُّنيا وشهواتهـا ازداد حجاب القلب والساتـر ضخامة. وربما تغلَّبت

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

هـذه العلاقة على القلب ويتسلّط سلطان حبُّ الجاه والشرف على القلب فينطفئ نور فطـرة الله تماماً، وتُغلـقُ أبواب السعادة على الإنسان. ولعلّ المراد من إقفال القلوب المذكورة فـي الآيـة الشّريفـة: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1] هو هذه الأقفال والأغلال والعلائق الدنيوية.

فمن أراد أن يستفيدَ من القرآن ويأخذَ نصيبه من المواعظ الإلهيّة لابدّ وأن يطهّرَ قلبه من هذه الأرجاس، ويزيل أدران المعاصي القلبية والاشتغال بغير الله من القلب، لأنّ القلوب غير المطهّرة ليست حرماً لهذه الأسرار كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[2]. فكما أنّ غير المطهّر بالطهارة الظاهريَّة ممنوع عن ظاهر هذا الكتاب ومسّه في العالم الظاهر تشريعاً وتكليفاً، كذلك من كان ملوّثاً بأرجاس التعلّقات الدنيوية والمحدودة والفانية ممنوع من معارفه ومواعظه وباطنه وسرّه قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3]. فغير المتّقي محروم من أنوار القرآن ومواعظه وعقائده الحقّة. والآية الشريفة التالية تكفي لأهل اليقظة بشرط التدبّر فيها، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ ـ ٧٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.
(٤) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

خلاصة

١- إزالــةُ الحجب والموانع بين المستفيــد والقرآن شرط أساسي لتحقيق الاستفادة الكاملة من كتاب الله.

٢- مــن الحجــب التي تصدُّ عــن سبيل القــرآن، الشُّعور بالاستغناء عــن كتاب الله، وعدم الحاجة الفعلية والضرورية إليه في مسيرة الإنسان الإيمانية والتكاملية.

٣- مــن الحجب التي تحولُ دون الاستفــادة من القرآن الكريــم الشُّبهاتُ العقائديَّة والاعتقادات الخاطئة المتعلِّقةُ بالقرآن فهماً وتأويلاً وتفسيراً.

٤- من الحجب التي تمنع من فهم حقائق القرآن والاستفادة منه أيضاً، تلوّث باطن الإنسان بالمعاصي والذُّنوب. فمعارف هذا الكتاب المقدّس وحقائقه لا يمسّه إلا المطهّرون من دنس الخطايا والآثام.

٥- حــبّ الدُّنيــا أيضاً والتعلّــق بها يصرف القلــب عن الله فتكون وجهتــه إلى غيره فيغفل القلب بواسطة هذه المحبّة عن ذكر الله ويعرض عنه،فيحجب عن معارف القرآن الحقّة.

في رحاب الإمام قدس سره

يترجم الإمام الخميني قدس سره احترامه للناس ورعاية مشاعرهم بأفعاله وتصرّفاته الحكيمة دائماً. فعندما كان الإمام في باريس، نزل في إحدى مناطقها في منزل أحد الجامعيّين أوّلاً، وكان البيت في الطبقة الرابعة. ولكثرة الذهاب والإياب إليه، وعدم راحة الجيران بسبب ذلك، قرّر الإمام أخذ مكان لا يزعج فيه أحداً، فكان بيت نوفل لوشاتو.

وفي باريس، وفي ليلة ميلاد السيّد المسيح عليه السلام، وزّع على جيرانه المسيحيّين هدايا مؤلّفة من بعض الحلويّات الإيرانيّة والمكسّرات إضافة إلى باقة ورد لكلّ بيت.

وفي نوفل لوشاتو يُمنع ذبح الحيوانات خارج المسلخ حسب القانون، وفي أحد الأيّام ذبحوا في مكان سكن الإمام خروفاً.. ومع أنّ الإمام كان في ديار الكفر، قال: لأنّ ذلك مخالف لقانون الحكومة، فلن آكل من هذا اللحم.

فإنّ الإمام وإن كان في منطقة غير مسلمة، ولكنّه كان يُظهر فيها أخلاق الإسلام، واحترام الرسالة المحمّدية للإنسان، كيف لا يكون كذلك وهو المتعلّم من نبع الطهارة؟

كانوا مسيحيّين، ولكنّه رفض إزعاجهم في سكنه، بسبب تردّد الزائرين إليه. لم يكونوا مسلمين. ولكنّه شاركهم وهنّأهم في عيدهم بميلاد رسول ما قبل الإسلام. فبعث إليهم بهدايا كعلامة مشاركة في هذا العيد.

ونفهم ممّا مضى كلّه من خدمة الإمام للناس، وحرصه على أن لا يخدمه أحد، كما يذكر الأخ سليماني: أنّ الإمام كان شديد الحرص، ويقول لنا دائماً عندما نقوم بأيّ شيء من أجله: «**لا تزعجوا أنفسكم**». ومع ذلك نراه يخدم الناس، ويرى ذلك لا يقلّ ثواباً عن الزيارة.

الدرس الثامن

الرسم القرآنيّ

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى أقسام الرسم القرآنيّ.

٢. أن يميّز بين بعض كلمات الرسم العثمانيّ والرسم القياسيّ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿حمٓ * وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[1].

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلسان العرب؛ وذلك لأنّ كلّ نبيّ أُنزل كتابه بلسان قومه، والقرآن الكريم ليس أمراً ونهياً وكلمات ومعاني فقط، بل هو رسم أيضاً.

ومن المعلوم أنّ للقرآن الكريم منهجاً خاصّاً في الكتابة، يختلف نوعاً ما عن الكتابة الّتي أَلِفَها الناس.

أقسام الرسم القرآنيّ

قسّم العلماء الرسم الكتابيّ ـ الخطّ الإملائيّ ـ إلى قسمين رئيسين.

الأوّل: أطلقوا عليه اسم الرسم القياسيّ، ويقصدون به كتابة الكلمة كما تُلفظ، مع الأخذ بعين الاعتبار حالتي الابتداء بها والوقف عليها.

الثاني: أطلقوا عليه اسم الرسم التوقيفيّ، ويقصدون به الرسم العثمانيّ، إذ هو الرسم الّذي كُتبت به المصاحف.

وقد صنّف العلماء في هذا المجال ما عُرف بـ «علم الرسم القرآنيّ» ووضعوا

(١) سورة الزخرف، الآيات: ١ ـ ٣.

كتبـاً خاصّــة في هذا الموضوع، منها، على سبيل المثـال لا الحصر، كتاب «المقنع فــي معرفة رسم مصاحف الأمصار» لأبي عمرو الدانــي، وكتاب التنزيل لأبي داود سليمان نجاح.

متباينات الرسم العثمانيّ والرسم القياسيّ

إنّ الرسم العثمانيّ يخالف الرسم القياسيّ من بعض الوجوه، أهمّها خمسة وجوه، نذكرها فيما يأتي مع التمثيل لها:

الوجه الأول، الحذف:

وهو كثير، ويقع في حذف الألف، والواو، والياء.

فمــن أمثلة حذف الألــف، قوله تعالى ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]: حيــث حُذفت الألف بعد العيــن، وقد كُتبت كذلك فــي جميع مواضعها في القــرآن، والأصل في كتابتها حسب الرسم الإملائيّ (العالمين).

ومــن أمثلة حذف الــواو، قوله تعالى: ﴿وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾[2]، وقــد وردت في موضعين من القرآن، والأصل فيها (الغاوون).

ومن أمثلة حذف الياء، قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[3]، وقد وردت كذلك في جميع مواضعها في القرآن، وعدد مواضعها ثلاثة عشر موضعاً، والأصل في كتابتها (النبيّين).

ومن وجوه حذف الأحرف أيضاً، حذف اللام والميم.

فمثال حذف اللام، قوله تعالى: ﴿ٱلَّيۡلَ﴾[4]، وقد كتبت كذلك في جميع مواضعها، وعددها ثلاثة وسبعون موضعاً، والأصل فيها (الليل).

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٩٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

ومثال حذف النون ﴿نُنجِ﴾[1] والأصل فيها (ننجي).

١ - كلمة «اسم»:

قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[3].

٢ - كلمة (سموات - سماوات).

وردت كلمة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بهذا الرسم بدون ألف صريحة ١٨٩ مرّة في القرآن الكريم... ووردت مرّة واحدة فقط بألفٍ صريحة بعد حرف (و) بالرسم القرآنيّ ﴿سَمَٰوَاتٍ﴾ وذلك في الآية الكريمة رقم ١٢ من سورة فصّلت ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[4].

٣- كلمة (الميعاد ـ الميعد).

وردت كلمة (الميعاد) وذلك بألف صريحة في وسط الكلمة ٤ مرّات في القرآن الكريم... وكلّها تتكلّم عن الميعاد الأخروي الّذي وعده الله سبحانه وتعالى.. لذلك جاء الميعاد واضحاً وصريحاً ولا ريب فيه مثال ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[5]، ولمّا تحدّث القرآن عن لقاء المسلمين بالكفّار في المعركة جاءت الكلمة بلا ألف صريحة: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾[6].

٤ - كلمة (سعوا ـ سعو).

وردت سعوا بشكلها العادي مرّة واحدة: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.
(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٥-٩٦.
(٣) سورة العلق، الآية: ١.
(٤) سورة فصّلت، الآية: ١٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1]، ووردت (سعـو) ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾[2] بشكلهـا غير العادي بدون ألف في آخرها مرّة واحدة أيضاً في القرآن الكريم.

٥- كلمة (صحب-صاحب).

فـي الآية ٣٤ من سـورة الكهف يقول القـرآن الكريم على لسان مالـك الجنّتين: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾[3]، بألـف متروكة.

غيـر أنّ الردّ يأتيه من صاحبه المؤمن في الآية ٣٧ من نفس سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾[4] باستخدام الألف الصريحة، والمدّ بالألف المتروكة.

٦- حذف حرف الواو من بعض الأفعال.

ورد أنّه تمّ كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو وهي:

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ - وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ - يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ - سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ ولكـن مـن غير نقط ولا شكل في الجميع.

٧- كلمة (وسئل-فسئل).

ورد فـي القرآن الكريم كلّه فعل الأمر من (سـأل) ناقصاً حرف(أ) في البداية. ونذكر فيما يلي نماذج من الآيات الكريمة الّتي ورد فيها هذا الفعل:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[5].

(١) سورة الحجّ، الآية: ٥١.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٧.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾[1].

٨- كلمة (أيد ـ أييد).

وردت كلمة (أيد) وهي جمع يد مرّتين في القرآن الكريم بهذا الرسم العاديّ، وذلك في الآيتين التاليتين:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[2].

غير أنّها وردت مرّة واحدة برسم مختلف يزيد حرف (ي) في منتصفها، وذلك في الآية الكريمة الآتية:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[3].

الوجه الثاني: الزيادة

وتكون في الألف، والواو، والياء، فمثال الزيادة في الألف قوله تعالى: (وجِاىء)، والأصل فيها (وجيء).

ومثال الزيادة في الواو قوله تعالى ﴿سَأُوْرِيكُمۡ﴾[4]، والأصل فيها (سأريكم).

ومثال الزيادة في الياء قوله تعالى ﴿بِأَيۡيْدٖ﴾[5]، وهو الموضع الوحيد في القرآن، والأصل فيها (بأيدٍ).

الوجه الثالث، الهمز:

حيث وردت الهمزة في الرسم العثمانيّ تارةً برسم الألف، وتارة برسم الواو، وتارة برسم الياء.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٢) سورة ص، الآية: ١٧.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.
(٥) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

فمن أمثلة ورودها ألفاً، قوله تعالى ﴿لَنَنُوأُ﴾[1]، وهو الموضع الوحيد، والأصل فيها (لتنوء).

ومن أمثلة ورودها واواً قوله تعالى: ﴿يَبْدَؤُا﴾[2]، وهي كذلك في مواضعها الستّة من القرآن، والأصل فيها (يبدأ).

ومن أمثلة مجيئها ياءً، قوله تعالى ﴿وَإِيتَآيِ﴾[3]، وهو الموضع الوحيد من ثلاثة مواضع، والأصل فيها (وإيتاء).

الوجه الرابع، البدل:

ويقع برسم الألف واواً أو ياء، فمن مجيئها واواً قوله تعالى: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾[4]، وهي كذلك في جميع مواضعها الأربعة والستّين، والأصل (الصلاة) ومثلها (الزكاة).

ومن صور رسمها ياءً، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾[5]، والأصل فيها (يا أسفا).

ومن ذلك أيضاً، قوله تعالى ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[6]، ولم ترد إلّا في هذا الموضع، والأصل فيها (والضحا).

الوجه الخامس، الفصل والوصل:

فقد رسمت بعض الكلمات في المصحف العثمانيّ متّصلة مع أنّ حقّها الفصل، ورسمت كلمات أخرى منفصلة مع أنّ حقّها الوصل، فمن أمثلة ما اتّصل وحقّه الفصل ما يلي:

- (عن) مع (ما) حيث رسمتا في مواضع من القرآن الكريم متّصلتين، من ذلك

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٢) سورة يونس، الآية: ٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٤.
(٦) سورة الضحى، الآية: ١.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقد وردت كذلك في جميع المواضع.

- (بئس) مع (ما) رسمتا متّصلتين في مواضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ﴾[2]، وهي كذلك في مواضعها الثلاثة.

- (كي) مع (لا) رسمتا متّصلتين في مواضع، من ذلك قوله تعالى ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[3]، وهي كذلك في مواضعها الأربعة.

ومن أمثلة ما انفصل وحقّه الوصل ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾[4]، وقد جاءت كذلك في ثلاثة مواضع، وجاءت متّصلة على الأصل في خمسة عشر موضعاً.

- قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾[5]، وقد جاءت كذلك في ثمانية مواضع، وجاءت متّصلة على الأصل في أربعة مواضع.

هذه الوجوه الخمسة الّتي أتينا على ذكرها، مع شيء من التمثيل لها، هي أهمّ الوجوه الّتي فارق فيها الرسم العثمانيّ الرسم الإملائيّ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٩١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

للمطالعة

من اكتشافات القرآن العلميّة

دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس

يقول التاريخ إنَّ غاليليو الإيطاليّ كان أوّل من اكتشف دوران الأرض حول نفسها قبل نحو أربعة قرون، بينما كان العلماء قبله يؤمنون بنظرية بطليموس المصريّ القائلة إنّ الأرض هي مركز الكون وإنَّ جميع الأجرام الأخرى تدور حولها.

وكان جـزاء غاليليو على اكتشافـه العلميّ هذا أنْ حكمت الكنيسة بكفره، ولم ينجُ مـن الموت إلاّ باظهار الندم على اكتشافه ذاك. غير أنّ علماء آخرين تابعوا نظريته واكّدوهـا بحيث إنّها أصبحت اليوم من الأُمور الّتي لا يختلف فيها اثنان، بل لقد ثبت بالتجـارب الملموسة أنَّ الأرض تدور حول نفسهـا، وخاصّة بعد التحليقات الفضائية الأخيرة.

وعليـه فقد فقـدت الأرض مركزيّتها بالنسبة للكون بعـد أنْ تبيّن أنَّنا كنّا من قبل ضحيّة خطأ حواسّنا، فكنّا نخلط حركة الأرض بحركة مجموعة الثوابت والسيّارات. إنَّنا نحن الّذين نتحرّك، وكنّا نعتبرها هي الّتي تتحرّك.

على كلّ حال، لقد سيطرت نظريّة بطليموس نحو ألف و خمسمائة سنة على عقول العلماء.

وعند ظهور القرآن لم يكن أحد يجرؤ على القول بخلاف ذلك.

ولكنّنا إذا رجعنا إلى آيات القرآن نجد أنَّه في الآية ٨٨ من سورة «النمل» يتحدّث الله تعالىعن حركة الأرض فيقول عز من قائل:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

هــذه الآية تشير بوضوح إلى حركة الجبال مع أنَّنا نراها ساكنة جامدة. إنَّ تشبيه حركتها بحركة السحاب يفيد السرعة مع الهدوء.

أمّا التعبير عن حركة الأرض بحركة الجبال، فهو لكي يبيّن أهمّيّة الموضوع، إذ لا حركة للجبال بغير حركة الأرض من تحتها، أي إنَّ حركتها هي حركة الأرض نفسها، سواء أكان المقصود دورانها حول نفسها، أم حول الشمس، أم كليهما.

تصوّر الآن عصراً كانت فيــه جميع المحافل العلميّة في العالم والإنسان العاديّ، يؤمنــون بنظريّــة سكون الأرضــ ودوران الشمس والكواكب الأخــرى حولها. ألا يكون الإخبــار بحركة الأرض بهذا البيان معجزةً علميّــة، خاصّة أنَّ المخبر إنسان أُمّيّ لم يدخل مدرسة، بل إنَّه نشأ في محيط متخلّف لا مدرسة فيه ولا تعليم؟ أفلا يكون هذا دليلاً على كون القرآن كتاباً سماويّاً؟[1]

(١) سلسلة دروس في العقائد الاسلاميّة، آية الله مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، ط٢، ص١١٤-١١٦.

الدرس التاسع

تفسير القرآن الكريم

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى التفسير.

٢. أن يعدِّد شروط التفسير.

٣. أن يميّز بين المنهج التجزيئي والمنهج الموضوعي .

معنى التفسير

التفسير لغة: البيان والكشف (لسان العرب، مادّة (فسر)). فتفسير الكلام هو الكشف عن مدلوله وبيان معناه، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى أيضاً، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1].

وتفسير القرآن هو بيان معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مقاصدها ومداليلها، بالعقل والقرآن والروايات الشريفة.

شروط التفسير

نقصد بشروط التفسير الأسس والمباني الفكريّة والعقائديّة الّتي لا بدّ أن يقوم عليها التفسير من أجل أن يكون تفسيراً صحيحاً للقرآن الكريم.

وهنا عدّة مسائل:

الأولى: الذهنيّة الإسلاميّة:

لا بدّ للمفسّر الّذي يريد أن يفسّر القرآن الكريم أن يفسّره بـ (ذهنيّة إسلاميّة). ومعنى ذلك أن يكون لدى هذا المفسّر مجموعة من التصوّرات الأساسيّة يعتمد عليها الإسلام، وترتبط بالقرآن الكريم وتشكّل الإطار العامّ للتفسير؛ الّذي من خلاله

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

يتمكّن المفسّر من الوصول إلى نتائج صحيحة في عمله التفسيريّ. فيكون تصوّره للقرآن أنّه وحي إلهيّ، وأنّ نسبته هي إلى الله سبحانه وتعالى، وأنّ القرآن ليس نتاجاً وجهداً بشريّاً، ومن خلال هذا وحده يتمكّن من الوصول إلى نتائج صحيحة في تفسيره للقرآن الكريم.

الثانية: التصوّر العامّ عن القرآن:

بأن يكون لدى المفسّر تصوّر عامّ عن كيفيّة نزول القرآن والأسلوب الّذي اتّبعه في (عمليّة التغيير) ومنهجه في طرح القضايا والأحداث من قبيل أن يعرف المفسّر (إجمالاً) أنّ في القرآن الكريم ناسخاً ومنسوخاً، فإنّ هذه الفكرة ذات أثر كبير في فهم القرآن وإمكانيّة تفسير بعضه ببعض.

وأن ينظر إلى القرآن الكريم على أنّه يمثّل وبمجموعه نصّاً واحداً، وأن بعضه يشكّل قرينة على بعضه الآخر، ففيه «**المطلق والمقيّد**» وفيه «**المجمل والمبيّن**» وفيه «**المحكم والمتشابه**»[1]، وأنّ القرآن الكريم وإن نزل بشكل تدريجيّ وخلال ثلاث وعشرين سنة، إلّا أنّ هناك قرائن عديدة تدلّ على أنّ هذا الشيء الّذي نزل بشكل تدريجيّ يشكّل وبمجموعه قضيّة واحدة وكلاماً واحداً، وأنّ بعضه يكمل الآخر ويوضحه. فقد أكّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام كثيراً على أهميّة هذا الموضوع في تفسير القرآن الكريم ووجّهوا انتقاداً شديداً لمجموعة من المفسّرين الّذين كانوا يتعاملون مع القرآن الكريم من دون الالتفات إلى هذه الرؤية العامّة للقرآن.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث احتجاجه على الصوفية لمّا احتجّوا عليه بآيات من القرآن في الإيثار والزهد قال: «**ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه الّذي في مثله ضلّ من ضلّ، وهلك ومن هلك من هذه الأمّة؟ قالوا: أو بعضه فأمّا كلّه فلا. فقال لهم: فمن ههنا أُتيتم**»[2]. **وكذلك أحاديث**

(١) وتوضيح هذه المصطلحات وغيرها يأتي إن شاء الله في مباحث علوم القرآن.
(٢) (أتيتم) بالبناء للمفعول أي دخل عليكم البلاء وأصابكم ما أصابكم

رسول الله ﷺ - إلى أن قال: - فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وأحاديثه الّتي يصدّقها الكتاب المنزل وردّكم إيّاها لجهالتكم وترككم النظر في غريب القرآن من التفسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي - إلى أن قال عليه السلام: - دعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به، وردّوا العلم إلى أهله تُؤجروا وتُعذروا عند الله، وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم، فإنّه أقرب لكم من الله، وأبعد لكم من الجهل، دعوا الجهالة لأهلها، فإنّ أهل الجهل كثير، وأهل العلم قليل، وقد قال الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾»[1].

الثالثة: العقيدة الصحيحة:

بأن تكون المباني العقائديّة للمفسّر مبانٍ صحيحة. والمقصود من العقيدة الصحيحة هي تلك العقيدة الّتي تنتهي في سلسلة مراتبها وارتباطاتها واستنباطها إلى القرآن الكريم نفسه. فتصبح هذه العقيدة - والّتي هي قرينة على فهم المضامين القرآنيّة - نابعة من القرآن الكريم ذاته، ومن ثَمّ لا نخرج بالتفسير عن حدود نفس القرآن الكريم.

الرابعة: المعرفة باللغة العربيّة الفصحى وقواعدها:

يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]. وهذا أمر مفروغ منه إذ لا يمكن لمن يريد أن يخوض غمار تفسير آي القرآن أن يكون جاهلاً باللّغة العربية وفصاحتها وبلاغتها وقواعدها الإعرابيّة.

تطوّر علم التفسير

بدأ التفسير للآيات وبيان معاني ألفاظ القرآن الكريم منذ عصر الرسول ﷺ، فكان هو أوّل من أوضح مقاصده. وبعد أن ارتحل النبيّ ﷺ، رجعت الشيعة إلى أهل

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦، الكافي، ج٥، ص٧٠.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢.

بيته لما مرّ من حجيّة أقوالهم ولم يركنوا إلى آراء الصحابة والتابعين الّذين اعتمد أقوالهم بقيّة المسلمين، إلّا ما ثبت أنّه حديث نبويّ.

فكانت أوائل التفاسير عبارة عن أحاديث مأثورة عن النبيّ وأهل بيته ثمّ تطوّرت إلى أن أصبحت التفاسير تحوي علوماً عديدة.

وما بأيدينا من تفاسير شاهد حيّ على اتّساع أنماط التفسير وتشعّب علومه.

مناهج التفسير

ظهرت مناهج متعدّدة في تفسير القرآن الكريم عند المسلمين عامّة؛ نتيجة التحوّلات الفكريّة الّتي شهدتها الأجيال اللاحقة ابتداءاً من القرن الثاني الهجريّ، وذلك مع شيوع المباحث الكلامية وانتشار الفلسفة وعلم التصوّف..

١- منهج التفسير التجزيئيّ:

«وهو المنهج الّذي يتناول المفسّر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف، ويفسّره بما يؤمن به من أدوات ووسائل للتفسير من الظهور أو المأثور من الأحاديث أو بلحاظ الآيات الأخرى الّتي تشترك مع تلك الآية في مصطلح أو مفهوم، وبالقدر الّذي يلقي ضوءاً على مدلول القطعة القرآنيّة الّتي يراد تفسيرها والكشف عن مدلولها اللفظيّ، مع أخذ السياق الّذي وقعت تلك القطعة ضمنه بعين الاعتبار في كلّ تلك الحالات. فالهدف في كلّ خطوة من هذا التفسير هو فهم مدلول هذا المقطع أو هذه الآية الّتي يواجهها المفسّر بكلّ الوسائل الممكنة، أي أنّ الهدف (هدف تجزيئيّ) لأنّه يقف دائماً عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النصّ القرآنيّ ولا يتجاوز ذلك غالباً»[1].

٢- منهج التفسير الموضوعيّ:

«وهو المنهج الّذي(...) يحاول (المفسّر) القيام بالدراسة القرآنيّة لموضوع

(١) المدرسة القرآنيّة للسيّد الشهيد محمّد باقر الصدر قدس سره، المحاضرة الأولى: ٩ - ١١، طبعة بيروت.

مـن موضوعات القرآن العقائديّة أو الاجتماعيّة، كعقيدة التوحيد، أو النبوّة، أو سنن التأريخ في القرآن... ويستهدف التفسير الموضوعيّ من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظريّ للقرآن الكريم، ومن ثمّ للرسالة الإسلاميّة من ذلك الموضوع»[1].

معاني الموضوعيّة[2]:

ومـن أجـل أن يتّضح موضـوع البحث ومركـز الاختلاف لا بـدّ أن نفهم مصطلح (الموضوعيّـة) فـإنّ هناك ثلاثة معـان لمصطلـح (الموضوعيّة) ذكرهـا الشهيد الصدر قدس سره، وهي:

أوّلاً: (الموضوعيّة) في مقابل (الذاتيّة) و (التحيّز). والموضوعيّة بهذا المعنى عبـارة عن الأمانـة والاستقامة فـي البحث والتمسّـك بالأساليب العلميّـة المعتمدة علـى الحقائـق الواقعيّة في نفس الأمـر والواقـع، دون أن يتأثّر الباحـث بأحاسيسه ومتبنّياتـه الذاتيّة ولا أن يكـون متحيّزاً في الأحكام والنتائج الّتي يتوصّل إليها. وهذه (الموضوعيّة) أمر صحيح ومفترض في كلا المنهجين: (التجزيئيّ) و (الموضوعيّ) ولا اختصاص لأحدهما بها.

ثانيـاً: (الموضوعيّـة) بمعنـى أن يبـدأ فـي البحث مـن (الموضـوع)، الّذي هو (الواقـع الخارجـيّ) ويعود إلـى (القرآن الكريـم) لمعرفة الموقف تجـاه الموضوع الخارجـيّ. «فيركّز المفسّر - في منهج التفسير الموضوعيّ - نظره على موضوع من موضوعـات الحياة العقائديّـة أو الاجتماعيّة أو الكونيّة ويستوعب مـا أثارته تجارب الفكـر الإنسانيّ حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنسانيّ من حلول وما طرحه التطبيق التأريخيّ من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثمّ يأخذ النصّ القرآنيّ... ويبـدأ معه حواراً، فالمفسّر يسأل والقرآن يجيب، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقـف القـرآن الكريـم من الموضـوع المطـروح». «وقد يسمّـى هذا المنهـج أيضاً

(١) تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم، ص ٩٢.
(٢) م. ن. ص ٩٢ - ٩٤.

بالمنهج (التوحيـديّ) باعتبار أنّه يوحّد بين (التجربة البشريّة) و(القرآن الكريم) لا بمعنى أنّه يحمل التجربة البشريّة على القرآن، بل بمعنى أنّه يوحّد بينهما في سياق واحد، لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآنيّ الّذي يمكن أن يحدّد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكريّة».

ثالثـاً: وقـد يراد من (الموضوعيّة) ما يُنسب إلى الموضوع، حيث يختار المفسّر موضوعاً معيّناً ثمّ يجمع الآيات الّتي تشترك في ذلك الموضوع فيفسّرها. «ويمكن أن يسمّى مثل هذا المنهج منهجاً توحيديّاً أيضاً باعتبار أنّه يوحّد بين هذه الآيات ضمن مركب نظريّ واحد».

ولا شـكّ أنّ المعنـى الأوّل ليس موضوع البحث إذ لا يختلـف التفسير الموضوعيّ عن التفسير التجزيئيّ في ضرورة توفّر هذا الوصف فيه، ويبقى عندنا المعنى الثاني والثالث.

خلاصة

التفسير لغة: البيان والكشف، وتفسير القرآن هو بيان معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مداليلها، بالعقل والقرآن والروايات الشريفة.

كلمة التأويل لا ترادف كلمة التفسير ولا تعني مجرّد الكشف والإبانة عن المعنى، بل تعني شيئاً آخر وهو ما يؤول إليه الشيء.

من شروط التفسير: الذهنيّة الإسلاميّة، التصوّر العامّ عن القرآن، العقيدة الصحيحة، المعرفة باللغة العربيّة.

كانت أوائل التفاسير عبارة عن أحاديث مأثورة عن النبيّ وأهل بيته ثمّ تطوّرت إلى أن أصبحت التفاسير تحوي علوماً عديدة.

أمّا مناهج التفسير، فمنها:

منهج التفسير التجزيئيّ: وهو المنهج الّذي يتناول المفسّر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف.

منهج التفسير الموضوعيّ: وهو المنهج الّذي يحاول القيام بالدراسة القرآنيّة لموضوع من موضوعات القرآن العقائديّة أو الاجتماعيّة.

للمطالعة

بعض من كتب التفسير

١- تفسير القميّ، تأليف: عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّيّ (متوفّى ٣٠٧هـ)، وهو تفسير روائيّ.

٢- التبيان في تفسير القرآن، تأليف: أبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ، المعروف بالشيخ الطوسيّ (متوفّى سنة ٤٦٠هـ).

٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف: أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري.

٤- تفسير القرآن الكريم، تأليف: صدر المتألّهين محمّد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازيّ (متوفّى ١٠٥٠هـ).

٥- نور الثقلين، الشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويزيّ (متوفّى ١١١٢هـ)، وهو تفسير روائيّ.

٦- الميزان في تفسير القرآن، تأليف: السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (متوفّى ١٤٠٢هـ)، ينهج منهجية تفسير القرآن بالقرآن.

٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: تأليف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي تفسير يلاحظ منهجيّات التفسير عامّة ويركّز على العبر ليستفيد من الآيات الكريمة دروساً متعدّدة فكريّة واجتماعيّة.

٨- مفاهيم قرآنيّة: تأليف الشيخ جعفر سبحاني (معاصر) يتبع أسلوب التفسير الموضوعيّ فيعالج تفسير الآيات المرتبطة بموضوع معيّن أينما كان محلّها في القرآن الكريم.

٩- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، تأليف: السيد عبد الأعلى الموسويّ السبزواريّ، اتّبع منهجيَّتَي التفسير الروائيّ وتفسير القرآن بالقرآن.

١٠- تفسير القرآن الكريم، السيّد مصطفى الخمينيّ (رض).

الدرس العاشر

أصول التفسير

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى أصول التفسير ومداركه.

٢. أن يعدِّد طرائق التفسير.

٣. أن يتبيّن أنّ القرآن مائدة لجميع الناس.

لا بدّ للمفسّر في استكشاف مراد الله تعالى من اتّباع ظواهر الكتاب أو ما حكم به العقل الفطريّ الصحيح، أو ما ثبت عن المعصوم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام. وهذه الأمور الثلاثة هي أصول التفسير ومداركه.

ظواهر الكتاب

والمراد من ظاهر القرآن ما يفهمه العرف العام العارف باللّغة العربيّة الفصيحة من اللّفظ، ولم يقم على خلافه قرينة عقليّة أو نقليّة معتبرة، فالقرآن نزل بلسان يسير واضح ومفهوم، وخاطب الناس بالطريقة المألوفة، ولذا عبّر أقواله وبيانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

وأمّا الإمام فلأنّه أحد الثقلين اللّذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسّك بهما، والأئمّة كما قال الصادق عليه السلام: «**ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله**»[2].

كما أنّ في القرآن قواعد كُليّة ومفاهيم عامّة لا نفهم جزئيّاتها وتفاصيلها وحدودها إلّا من خلال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والعترة عليهم السلام وهذا ما يعبّر عنه بالتبيين. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3].

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) الكافي، الكليني، ج١، ص١٩٢.
(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

فيأتي بيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي».

العقل القطعيّ

فالآيات القرآنيّة الّتي ينافي ظهورها الابتدائيّ أحكام العقل القطعيّة لا بدّ من حملها على معنى يتلاءم مع تلك الأحكام، فالعقل يقطع بوجود الإله بعد التفكّر والتدبّر وعدم جواز الجسميّة له، فقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1]، وإن كان ظاهراً ابتداءً في كون الجائي هو الربّ نفسه، المستلزم للجسميّة الممتنعة في حقّه تعالى، إلّا أنّ حكم العقل القطعيّ باستحالة ذلك (لاستلزامه حاجة الخالق لجسم ما يجعله فقيراً محتاجاً كمخلوقاته) يوجب عدم انعقاد ظهور له في هذا المعنى وهو اتّصاف الربّ بالمجيء المادّي، وعليه فلا بدّ من أن يكون المقصود بالمجيء معنى آخر كحضور صفة من صفات الله تعالى.

والمفسّر عندما يريد كشف مراد الله تعالى يتسلّح بهذه الأمور الثلاثة ويعتمد عليها فلا يجوز الاعتماد على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنّه حجّة من طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن اتّباع الظنّ وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه.

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[2]. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3].

والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الطرفين[4].

طرائق التفسير

قد ظهرت طرائق متعدّدة في تفسير القرآن الكريم عند المسلمين عامّة نتيجة

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٤) البيان، ص٣٩٧.

التحـوّلات الفكريّـة الّتي شهدتها الأجيـال اللاحقة ابتداءاً من القـرن الثاني الهجريّ فصاعداً، وذلك مع شيوع المباحث الكلاميّة وانتشار الفلسفة وعلم التصوّف وما سبق ذلك واكتنفه من ميول سلفيّة ظاهريّة؛ كالتفسير بالمأثور والتفسير الفلسفيّ والتفسير الصوفـيّ والتفسيـر الكلاميّ والتفسير البيانـيّ والتفسير اللغـويّ والتفسير التاريخيّ والتفسير العلميّ. ونحن ذاكرون لكم بعضاً من هذه الطرائق:

١ - تفسير القرآن بالقرآن:

وهـو يتمّ مـن خلال مقابلة الآية بالآية، فما أُجمل منها فـي مكان يتمّ تفسيره في مكان آخر.

وكما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإنّ القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضاً ولكن نزل يصدّق بعضه بعضاً**»[١].

والقرآن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض**»[٢].

كما أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا يستعملون هذا الأسلوب في استدلالاتهم واحتجاجاتهـم من قبيل مـا ذكر في كتاب الكافي عن عليّ بـن يقطين قال: سأل المهديّ (العباسـيّ) أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هـل هي محرّمة في كتاب الله عـزَّ وجلَّ فإنّ الناسـ إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفـون تحريمها؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: «**بل هي محرّمة**».

فقال: في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب الله عزَّ وجلَّ يا أبا الحسن؟

فقال عليه السلام: قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٣].

(١) الدر المنثور، ٢/٨.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

إلى أن قال عليه السلام: **فأمّا الإثم فإنّها الخمر بعينها، وقد قال الله تعالى في موضع آخر:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1].

فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما كما قال تعالى»[2].

٢- التفسير الروائيّ:

وهو التفسير بالأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام. والأحاديث هذه تبلغ الآلاف من طريق الشيعة وفيها مقدار كبير من الأحاديث الّتي يمكن الاعتماد عليها. إلّا أنّ هناك آيات لم يرد فيها حديث أصلاً لا من طريق السنّة ولا من طريق الشيعة.

وينبغي الالتفات إلى أنّه ربّما تشير الروايات إلى المصداق الأكمل في تفسير الآية وهذا لا يمنع من تفسير الآية بطريقة أخرى توافق ظاهرها. وقد اشتهر بينهم أنّ المورد لا يخصّص الوارد[3] وذلك لأنّ القرآن يجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر، إلّا أن تقوم قرينة قطعيّة على أنّ آية معينة قد انحصرت في موردها كما في آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾[4].

ومن التفاسير الّتي اتّبعت هذه المنهجيّة كتاب (نور الثقلين).

٣- التفسير اللغويّ:

وهو تفسير مفردات القرآن واشتقاقاتها وأصولها، كتفسير (مجمع البيان) للشيخ الطبرسيّ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.

(٢) الكافي، الكليني، ج٦، ص٤٠٦.

(٣) بمعنى أنه إذا كان نزول الآية في مورد ومناسبة محدّدة وخاصّة، فهذا لا يعني انحصار تفسير الآية وتطبيقها على هذا المورد الخاصّ، وأنّ الوارد وهو الآية لا تفسّر بغير هذه المناسبة بل يمكن توسعة الوارد (الآية) لتفسّر وتطبّق على مجالات أخرى.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

وقـد تباينت توجّهـات المفسّريـن واختلفت الجهـات الّتي احتجّوا بهـا، كالجهة البلاغيّة والفقهيّة والكلاميّة والفلسفيّة والأخلاقيّة.

القرآن مائدة لجميع الناس

القـرآن الكريم كما تقـدّم واضح وميسّر للفهم. وربما احتاج إلى تعليم بعض حدود الآية الّتي لم يذكرها الله في الكتاب فأوكلها إلى نبيّه ﷺ وإلّا فإنّ القرآن في نفسه هو هدى ورحمة للعالمين، وكلّ من كان أصفى فطرةً وأكثر فكراً وتدبّراً فإنّه يحظى بفهم أكبر ويكون القرآن شفاءً ومصحّحاً للآراء والأفكار الّتي يحملها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

فالكلّ في معرض الاستفادة من القرآن الكريم، لذلك تعدّدت الخطابات لطوائف خاصّة كبني إسرائيل، أو المؤمنين، أو الكفّار، وفي بعض الآيات يخاطب عامّة الناس وبديهيّ أنّه لا يصحّ التكلّم بما لا يكون مفهوماً وواضحاً عندهم.

وأيضـاً نجد حتّى المعارف العالية يبثّها القـرآن بلغة يفهمها عامّة الناس ويلقيها بشكل محسوس أو ما يقرب منه.

وتبقى الحقائق المعنويّـة وراء ستار الظواهر فتتجلّى حسب الأفهام ويدرك منها كلّ شخـص بقدر عقله ومداركـه. واحتواء القرآن على معـانٍ دقيقة ومفاهيم رقيقة وذلـك في مثل صفاته تعالى الجماليّة والجلاليّة، ومعرفة وجود الإنسان وسرّ خِلقته، ومسائـل من المبدأ والمعاد، كلّ ذلك جاء فـي القرآن في إشارات عابرة وفي ألفاظ وتعابيـر كنائيّة واستعارة ومجاز، فـكان حلّها والكشف عن معانيهـا بحاجة إلى فقه ودراسة وتدبّر وإمعان نظر.

كمـا أنّ فـي القرآن إشـارات إلى أحاديث غابـرة وأمم خالية، إلـى جنب عادات

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

جاهليّة عارَضَها لم يبق منها سوى إشارات عابرة، ولولا الوقوف عليها لما أمكن فهم معاني تلكم الآيات.

هـذا مضافاً إلى غرائب اللغة الّتي جاءت في القرآن علـى أفصحها وأبلغها، وإن كان فهمهـا صعبـاً على عامّة الناس لـولا الشرح والبيان وغير ذلك مـن الأمور الّتي استوجبت تفسيراً، وكشفاً لما استتر ومزيداً من إمعان النظر.

إعداد النفس لحضور مائدة القرآن

تزكية النفـس وتطهيرها من الأوساخ والأدران الخُلقيّة هو أهمّ شرط من شروط فهـم القرآن، وأعظم هذه الأوساخ الأهـواء النفسيّة، فما دام الإنسان أسيراً لأهوائه وغرائزه، فإنّه لا يستطيع أن يدرك القرآن الّذي هو نور، يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

«فالّذين يقفون خلف حجب عديدة لا يمكنهم أن يدركوا النور.. ما دام الإنسان لـم يخـرج من حجاب نفسـه المظلـم جـدّاً، وطالما أنّـه مُبتلى بالأهواء النفسـيّة، وطالمـا أنّـه مُبتلـى بالعجـب، طالمـا أنّه مُبتلـى بالأمـور الّتي أوجدهـا في باطن نفسه، وتلك الظلمات الّتي (بعضها فوق بعض) فإنّه لا يكون مؤهّلاً لانعكاس هذا النور الإلهيّ في قلبه»[1].

نعـم، قد يتمكّن مثل هـذا الإنسان من فهم بعض ظواهر الألفاظ، ولكنّه لن يصل إلى فهم مقاصده الأصليّة ومراميه الكلّيّة.

(١) القرآن في كلام الإمام الخميني قدس سره، ط٤ آذار ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ، ص٢٤.

خلاصة

المـراد من ظاهر القرآن ما يفهمه العرف العام العارف باللّغة العربيّة الفُصحى مـن اللّفظ، وقـول المعصوم نبيّاً كان أو إماماً حجّةٌ فـي مقام كشف مراد الله تعالى من آيات الكتاب العزيز.

والآيـات القرآنيّة الّتي يُنافـي ظهورها الابتدائيّ أحكام العقـل القطعيّة لا بدّ من حملها على معنى يتلاءم مع تلك الأحكام.

من طرائق التفسير

- **تفسير القرآن بالقرآن.**
- **التفسير الروائيّ:** وهو التفسير بالأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام.
- **التفسير اللغويّ:** وهو تفسير مفردات القرآن واشتقاقاتها وأصولها.

ومع ذلك فالقرآن مائدة لجميع الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. ولكن لا بدّ للشخص المفسِّر من أن يطهّـر نفسه من أدران الذنـوب حتّى يكون مؤهّلاً لنيل المعـارف القرآنيّة ونزول النور الإلهيّ على قلبه.

للمطالعة

ما كان يُوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال

عن عقيل الخزاعيّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر الحرب يُوصي للمسلمين بكلمات فيقول: تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. وقد علم ذلك الكفّار حين سُئلوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[1]. وقد عرف حقّها من طرقها وأكرم بها من المؤمنين الّذين لا يشغلهم عنها زين متاع ولا قرّة عين من مال ولا ولد. يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾[2]. وكان رسول الله منصّباً لنفسه بعد البشرى له بالجنّة من ربّه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ..﴾[3] فكان يأمر بها أهله ويصبّر عليها نفسه. ثمّ إنّ الزكاة جُعلت مع الصلاة قُرباناً لأهل الإسلام على أهل الإسلام ومن لم يُعطها طيّب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فإنّه جاهل بالسنّة، مغبون الأجر ضالّ العمر، طويل الندم بترك أمر الله عزَّ وجلَّ والرغبة عمّا عليه صالحوا عباد الله، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾[4] من الأمانة فقد خسر من ليس من أهلها وضلّ عمله، عرضت على السماوات المبنيّة والأرض المهاد والجبال المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم لو امتنعن من طول أو عرض أو عظم أو قوّة أو عزّة امتنعن ولكن أشفقن من العقوبة[5]. ثمّ إنّ الجهاد

(١) إشارة إلى قول الله عزَّ وجلَّ في سورة المدثر آيات ٢٤ إلى ٦٤ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢، واصطبر أي داوم.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٥ (نوله ما تولى) أي نقرّبه ما تولى من الضلال ونخلّي بينه وبين ما اختاره.

(٥) في النهج (ولا أعظم منها ولو امتنع شيء منها بطول أو عرض أو قوة أو عزّ لأمتنعن ولكن الخ). (أشفقن من العقوبة) أي خفن، والاشفاق: الخوف.

أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدين والأجر فيه عظيم مع العزّة و المنعة وهو الكره فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة وبالرزق غداً عند الربّ والكرامة، يقـول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾[1] ثمّ إنّ الرعب والخوف مـن جهاد المستحقّ للجهاد والمتوازرين على الضلال ضلال في الدين وسلب للدنيا مع الذلّ والصَّغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله عزَّ وجـلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[2].

فحافظـوا علـى أمر الله عزَّ وجلَّ فـي هذه المواطن الّتي الصبـر عليها كرم وسعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة فإنّ الله عزَّ وجلَّ لا يعبأُ بما العباد مقترفـون ليلهم ونهارهم، لطف به علمـاً، وكلّ ذلك في كتاب لا يضلّ ربّي ولا ينسى، فاصبـروا وصابروا واسألوا النصر ووطّنوا أنفسكم علـى القتال واتّقوا الله عزَّ وجلَّ فإنّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٥.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٣٦ – ٣٨.

الدرس الحادي عشر

نماذج من التفسير الموضوعيّ (١) (التوحيد)

أهداف الدرس

١. أن يستظهر الطالب موضوع التوحيد في القرآن.

٢. أن يتبيّن مراتب التوحيد.

التوحيد

التوحيد أساس دعوة الأنبياء:

أصل التوحيد هو من أهمّ المسائل الاعتقاديّة الّتي تصدَّرت التعاليم السماويّة حيث يُعدُّ أساساً لسائر التعاليم والمعارف الإلهيّة الّتي جاء بها الأنبياء والرسل.

والتوحيد أصل من أصول الدين، يجب الإيمان به ومُنكره يُعتبر كافراً وخارجاً عن ملّة المسلمين.

معنى التوحيد:

هو الاعتقاد بأنّ اللّه تعالى واحد لا شريك له، وأحد لا شبيه له ولا مثيل.

مراتب التوحيد:

للتوحيد مراتب عديدة، ويؤدّي إنكارها أو بعضها إلى الخروج عن الإيمان والإسلام، ومن هذه المراتب:

المرتبة الأولى: التوحيد في الذات

والمراد منه هو أنّه سبحانه واحد لا نظير له، فردٌ لا مثيل له، بل لا يمكن أن يكون له نظير أو مثيل.

ويدلّ على ذلك مضافاً إلى البراهين العقليّة قوله سبحانه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ * وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على أنّه تعالى واحد لا نظير له ولا مثيل ولا ثانيَ ولا عدل.

ومن ادّعى له شريكاً أو مثيلاً أو جعله ثالث ثلاثة فقد كفر، يقول تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾[4].

ولو كان لله تعالى شريك لاختلَّ نظام الكون وفسد ولذهب كلّ إله بما خلق كما يقول تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[5].

وجاء في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «**يا بُنيّ لو كان لربّك شريك، لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه...**»[6]. فمن الطبيعيّ أنّه لو كان هناك شريك لله تعالى لظهرت آثاره ولأرسل الرسل تبشّر به وتدعو إليه. ومع عدم وجود هذه الآثار كيف نحكم بوجوده؟ فهذا يدل على عدم وجود شريك له سبحانه.

المرتبة الثانية: التوحيد في الخالقيّة

والمراد منه هو أنّه ليس في الوجود خالق أصيل غير الله، ولا فاعل مستقلّ سواه، وأنّ كل ما في الكون من مجرَّات ونجوم وكواكب وأرض وجبال وبحار، وما فيها ومن

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١ ـ ٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٤.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٣.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٦) موسوعة الإمام الجواد، ج٢، ص٥٧٠.

فيها، وكلّ ما يُطلق عليه أنّه فاعل وسبب فهي موجودات مخلوقة للّه تعالى. وأنّ كلّ ما ينتسب إليها من الآثار ليس لذوات هذه الأسباب، وإنّما ينتهي تأثير هذه المؤثّرات إلى اللّه سبحانه، فجميع هذه الأسباب والمسبّبات رغم ارتباط بعضها ببعض مخلوقة للّه، فإليه تنتهي العلّية والسببيّة، فهو خالق العلل ومسبِّبها.

ويدلّ على ذلك مضافاً إلى الأدلّة العقلية قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[2].

وقوله جلّ وعلا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[4] إلى غير ذلك آيات كثيرة تدلّ على ذلك.

المرتبة الثالثة: التوحيد في الربوبيّة

والمراد منه هو أنّ للكون مدبّراً واحداً، ومتصرّفاً واحداً لا يشاركه في التدبير شيء، وأنّ تدبير الملائكة وسائر الأسباب إنّما هو بأمره سبحانه. وهذا على خلاف رأي بعض المشركين الّذين يعتقدون أنّ الّذي يرتبط باللّه تعالى إنّما هو الخلق والإيجاد والابتداء، وأمّا التدبير فقد فوّض إلى الأجرام السماويّة والملائكة والجنّ والموجودات الروحيّة الّتي تحكي عنها الأصنام المعبودة، وليس له أيّ دخالة في تدبير الكون وإدارته وتصريف شؤونه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[5]

(١) سورة الرعد، الآية: ١٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٢.
(٣) سورة غافر، الآية: ٦٢.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.
(٥) سورة يونس، الآية: ٣.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[1].

فإذا كان هو المدبِّر وحده فيكون معنى قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[3]. إنّ هذه مدبِّرات بأمره وإرادته تعالى، فلا يُنافي ذلك انحصار التدبير الاستقلاليّ في الله سبحانه.

وقد دلّ القرآن الكريم على وحدة المدبّر في العالم في آيتين:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[5].

وهما يعنيان: أنّ تصوّر المدبِّر لهذا العالم على وجوه:

١- أن يتفـرّد كلّ واحد من الآلهة بتدبير مجموع الكون باستقلاله، ففي هذه الصورة يلـزم تعدّد التدبيـر؛ وهذا يستلزم طـروء الفساد على العالـم وذهاب الانسجام والنظام المشهود.

وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾.

٢- أن يدبّـر كل واحـد قسماً من الكون الّذي خلقـه، وعندئذ يجب أن يكون لكلّ جانب مـن الجانبين نظـام مستقلّ خاص مغايـر لنظام الجانب الآخـر وغير مرتبط به أصـلاً، وعندئـذ يلزم انقطاع الارتباط وذهاب الانسجـام والنظام من الكون، في حيـن أنّنـا لا نرى في الكون إلّا نوعـاً واحداً من النظام يسير علـى قانون مترابط دقيق يسود كلّ جوانب الكون من الذرّة إلى المجرّة.

(١) سورة الرعد: الآية: ٢.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

وإلى هذا الوجه أشار قوله تعالى: ﴿... إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾.

٣- أن يتفضّل أحد هذه الآلهة على البقيّة ويكون حاكماً عليهم ويوحّد جهودهم وأعمالهم ويُسبغ عليها الانسجام والاتّحاد والنظام الواحد وعندئذ يكون الإله الحقيقيّ هو هذا الحاكم دون الباقين.

وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وإلّا لو لم يكن هناك إله واحد لتصارع الآلهة وخرب الكون وفسد وفني؛ لأنّ كلّ واحد يُريد أن يعلو على الآخر ويتفرّد في الحكم والتدبير.

المرتبة الرابعة: التوحيد في العبادة:

وهو أن تؤمن بأنّ المستحقّ للعبادة هو الله تعالى وحده لأنّه هو الخالق والعبوديّة من شأن الخالق الغنيّ غير المحتاج، لذلك يستحقّها وحده دون غيره، كما نقرأ في سورة الحمد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهنا القرآن الكريم حصر العبوديّة بالله تعالى ويقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

خلاصة

أصـل التوحيد هو من أهمّ المسائل الاعتقاديّة الّتـي تصدّرت التعاليم السماويّة ويُعَدّ أساساً لسائر التعاليم والمعارف الإلهيّة الّتي جاء بها الأنبياء والرسل.

التوحيد هو الاعتقاد بأنّ الله تعالى واحد أحد لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل.

للتوحيد مراتب عديدة يؤدّي إنكارها إلى الخروج عن الإيمان والإسلام منها:

١- التوحيد في الذات.

٢- التوحيد في الخالقيّة.

٣- التوحيد في الربوبيّة.

٤- التوحيد في العبادة.

للمطالعة

التوحيد

قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر الجعفيّ[١]:

«يا مفضّل أوّل العبر والدلالة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ، والإنسان كالمالك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيَّأة لمأربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة وأنّ الخالق له واحد وهو الّذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض جلَّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عمّا يقول الجاحدون وجلَّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون».

«خلق الإنسان وتدبير الجنين في الرحم».

«نبدأ يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة فإنّه يجري من دم الحيض، ما يغذوه الماء والنبات، فلا يزال ذلك غذاؤه».

«كيفيّة ولادة الجنين وغذائه وطلوع أسنانه وبلوغه».

«حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه وبصره على ملاقاة الضياء،

(١) توحيد المفضل، ص١٦.

هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتّى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الّذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثديها وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمّظ[1] وحرّك شفتيه طلباً للرضاع»...

(١) تلمّظ: أخرج لسانه ومسح به شفتيه.

الدرس الثاني عشر

نماذج من التفسير الموضوعيّ (٢)

(النصر)

أهداف الدرس

١. أن يستظهر الطالب موضوع النصر في القرآن.

٢. أن يعدّد شروط النصر الإلهيّ.

النصر

أ- نصر الله تعالى:

فـي القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة تضيـف النصر إلى الله تعالى، يقول تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[1].

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2].

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾[3].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وهـذه الإضافة أي إضافة النصر إلى الله تعالـى تعني أنّ النصر يحتاج إلى مدد إلهـيّ، فـإنّ كل شـيء في الوجود لا يمكن لـه أن يستغني عن العـون والمدد والتوفيق الإلهـيّ، وهي إمدادات غيبيّة ترتفـع عن المسائل الحسيّة. وقبـل الحديث عن أنواع الإمدادات وشروطها، نتعرّض بالإشارة إلى مصطلحين قرآنيّين:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

١- الرحمة الرحمانيّة:

هــي الألطاف الإلهيّة الشاملة لكلِّ الموجودات للمؤمن وغيره، فوجود كلّ شيء في هــذا العالم بنفسه رحمة لذلك الموجود. وكذلك تعتبر كلّ الوسائل الّتي خُلقت لأجل وجــوده والحفاظ على بقائه رحمة له أيضاً، وهذه الرحمة تُفاض وفق قوانين طبيعيّة عامّة.

٢- الرحمة الرحيميّة:

هــي تلك الألطاف الإلهيّــة الخاصّة، الّتي تشمل المكلَّــف المؤمن خاصّة لحسن طاعته وامتثاله وأدائه، وهي تُفاض وفق شروط وقوانين خاصّة ومعيّنة.

ونحن نطلب من الله تعالى هذا النوع الخاصّ من الرحمة يوميّاً في صلاتنا:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١].

وتشمــل هذه الألطاف الإنسان في حياته الفرديّــة أو الاجتماعيّة وتُنقذه من كثير من المآزق.

وقــد شمل الله تعالى رسولــه الكريم ﷺ بمثل هذه الألطــاف حيث يقول القرآن بحقّ الرسول الأكرم ﷺ:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[٢].

فالإنسان المؤمن بحاجة إلى مثل تلك الألطاف الإلهيّة الخاصّة، والنصر من الله تعالى هو لُطف منه على عباده المؤمنين، وهو مدد غيبيّ لا يتحقّق إلّا بشروط أقرّها الله تعالى.

ب- شروط النصر الإلهي

١- الإيمان:

يقول تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٢) سورة الضحى، الآيات: ٦ ـ ٨.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.

٢ - العمل والجهاد: قال تعالى:

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[١].

فقولـه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فـي هذه الآية، يُفهم منه صريحـاً أنّ إعطاء ومنح النصر مشـروط بمن يعمـل وينصر ويجاهد في سبيل الله، والآيـات الكريمة في الحثّ على الجهـاد كثيرة، فليـس الأمر كما قال اليهود للنبيّ موسى عليه السلام حين أمرهم بالقتال لدخول الأرض المقدّسة:

﴿... فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[٢].

٣ - الأمل والصدق: يقول تعالى:

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[٣].

فنلاحـظ أنّ الله تعالـى أراد للمؤمنيـن رغم ما بهـم من ضيق وضـرّ وبأساء أن يأملوا نصر الله فهو قريب.

ويقول أمير المؤمنين والمجاهدين الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة:

«... ولقـد كان الرجـل منّـا والآخـر مـن عدوِّنـا يتصـاولان تصـاول الفحلَيـن، يتخالسـان أنفسـهما أيّهما يسقي صـاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنـا منـا، فلمّـا رأى الله صـدقنا أنـزل لعدوّنا الكبـت وأنزل علينا النصـر حتّى استقرَّ الإسلام...»[٤].

٤ - فـي سـبيل الله: أن يكون العمل والجهاد كلّه فـي سبيل الله، فالنصرة لا بدّ أن تكون لله:

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾.

(١) سورة محمد، الآية: ٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
(٤) نهج البلاغة، من كلام له في وصف حربهم على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، ج١، ص١٠٤، تحقيق الشيخ محمد عبده، الخطبة ٥٦.

والمجاهدة لا بدّ أن تكون في الله:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

٥- إعداد العدّة: قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2].

إذاً لا يتحقّق المدد الغيبيّ والنصر الإلهيّ عبثاً ولا مجّاناً ونحن عاكفون في البيوت كما قال اليهود لنبيّهم:

﴿... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[3].

بل لا بدّ من توفّر الشروط الموضوعيّة لكي تتحقّق الألطاف الإلهيّة، وليست هذه الشروط من المستحيلات.

فدروس وعبر المسلمين الأوائل إلهامات مهمَّة لكي نأخذ منها المدد والدروس الواقعيّة.

ج- النصر ودخول الناس في الإسلام:

إنّ النصر له آثار مهمّة على النّاس المنتَصر عليهم وغيرهم، من حيث تهيئتهم للدخول في الإسلام العظيم، فالناس مع المنتصر القويّ، لا مع المنهزم الضعيف.

لذلك نرى السورة الكريمة ترتّب على النصر دخول الناس في دين الله أفواجاً.

د- استمراريّة النصر مشروطة:

النصر تعقبه انفعالات نفسيّة خطيرة على المنتصرين كالعجب، والغرور، والتكبّر، والاقتناع بما وصلوا إليه، إلى غير ذلك من الصفات. من هنا ولكي يستمرّ النصر

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

لا بدّ مـن إزالة هذه الرذائـل الأخلاقيّة من نفوس المؤمنيـن، بالتسبيح والاستغفار والشكر، والتواضع أمام نعم الله سبحانه والاعتقاد بأنّ هذه النعمة العظيمة منه عزَّ وجلَّ، وملك له متى ما شاء أخذها، وبذلك تدوم العلاقة بالله تعالى.

خلاصة

فـي القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة تضيـف النصر إلى الله تعالى، يقول تعالى:

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1].

والنصـر يحتاج إلـى مدد إلهيّ، أمّا أسبابه فهي: الإيمـان، العمل والجهاد، الأمل والصدق، في سبيل الله، وإعداد العدّة.

إنّ النصـر لـه آثار مهمّة علـى النّاس المنتصـر عليهم وغيرهم، مـن حيث تهيئتهم للدخول في الإسلام العظيم، فالناس مع المنتصر القويّ، لا مع المنهزم الضعيف.

ولكي يستمرّ النصر لا بدّ من إزالة الرذائل الأخلاقيّة من نفوس المؤمنين كالتكبّر والاستعلاء وحبّ النفس..

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

سورة النصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

شرح المفردات:

١- دين الله: الإسلام.

٢- أفواجاً: جماعة بعد جماعة وزمرة بعد زمرة.

٣- سبِّح: نزّه.

محتوى السورة وفضيلتها:

نزلت هذه السورة في المدينة المنوّرة بعد الهجرة، وفيها بُشرى النصر العظيم ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وهي تدعو النبيّ ﷺ إلى أن يسبّح الله ويحمده ويستغفره شكراً على هذه النعمة، وكذا سائر المؤمنين.

في الإسلام فتوحات كثيرة، ولكنّ فتحاً بالمواصفات المذكورة في السورة ما كان سوى «**فتح مكّة**»، خاصّة وأنّ العرب كما جاء في الروايات كانت تعتقد أنّ نبيّ الإسلام ﷺ لا يستطيع أن يفتح مكّة إلّا إذا كان على حقّ... ولو لم يكن على حقّ فربُّ البيت يمنعه كما منع جيش «**أبرهة**». ولذلك دخل العرب في دين الله بعد فتح مكّة أفواجاً.

وقد نزلت هذه السورة بعد «**صلح الحديبيّة**» في السنة السادسة للهجرة، وقبل عامين من فتح مكّة.

أمّا ما ذكره بعضهم من نزول هذه السورة بعد فتح مكّة في السنة العاشرة للهجرة

فـي حجّة الوداع فبعيد جـدّاً، لأنّ عبارات السورة لا تنسجم وهذا المعنى، فهي تخبر عن حادثة ترتبط بالمستقبل لا بالماضي.

ومن أسماء هذه السورة «**التوديع**» لأنّها تشعر بقرب رحلة النبيّ ﷺ إلى ربّه عزّ وجلّ.

في الرواية أنّ هذه السورة لمّا نزلت قرأها رسول الله ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العبّاس فبكى.

فقال ﷺ: ما يبكيك يا عمّ؟

فقال: أظنّ أنه قد نُعيت إليك نفسك يا رسول الله.

فقال ﷺ: «إنّه لكما تقول»[1].

ظاهر السـورة ليس فيه إنباء عن قرب رحلة الرسول ﷺ بل عن الفتح والنصر.

فكيف فهم العبّاس أنّها تنعى إلى الرسول ﷺ نفسه؟

يبـدو أنّ دلالة السورة علـى اكتمال الرسالة وتثبيت الدين هـو الّذي أوحى بقرب ارتحال الرسول ﷺ إلى جوار ربّه.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**مـن قـرأ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فـي نافلـة أو فريضـة نصـره الله علـى جميع أعدائه، وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد أخرجه الله من جوف قبره، فيه أمان من حرِّ جهنّم...**»[2].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص ٥٥٤. هذه الرواية وردت بألفاظ مختلفة: الميزان، ج٢٠، ص٥٣٢.

(٢) م. ن.

الدرس الثالث عشر

تفسير سورة الفاتحة (١)

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى خصائص سورة الفاتحة.

٢. أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

١- خصائصها:

لهذه السّورة مكانة متميّزة بين سور القرآن الكريم. وتبدأ هذه السّورة - بعد البسملة- بحمد الله والثناء عليه، وتستمرّ في إقرار الإيمان بالمبدأ والمعاد «**بالله ويوم القيامة**»، وبحصر العبادة والاستعانة بالله تعالى، وتنتهي بالتضرّع والطلب للهداية، والتبرّؤ من أهل الضلالة والغواية..

سورة الحمد أساس القرآن: فقد رويَ عن رسول الله ﷺ أنّه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: «**أَلا أُعَلِّمُكَ أَفْضَلَ سُورَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ في كِتَابِهِ؟**» قَالَ جَابِرٌ: بَلى بِأبي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِيهَا. فَعَلَّمَهُ الْحَمْدَ أُمَّ الْكِتَابِ، وَقَالَ: «**هِي شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلاّ السَّامَ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ**»[1].

أمّ الكتاب: وروي عنه ﷺ أيضاً أنّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ في**

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٦، ص٢٣٢.

التَّوْرَاةِ، وَلاَ في الإنجيل ولا في الزّبُورِ وَلا في الْقُرْآنِ مِثْلَهَا، وَهِيَ أُمُّ الْكِتَابِ»[1].

٢- أهميّتها:

أهميّـة هذه السّـورة تتّضح من محتواها، فهي في الحقيقـة عرض لكلّ محتويات القـرآن، فجانـب منهـا يختصّ بالتوحيـد وصفـات الله، وجانب آخـر بالمعاد ويوم القيامـة، وقسم منهـا يتحدّث عن الهداية والضلال باعتبارهمـا علامة التمييز بين المؤمـن والكافر، وفيها أيضاً إشارات إلى حاكمية الله المطلقة، وإلى مقام ربوبيّته، ونعمه اللّامتناهية العامّـة والخاصّة «**الرحمانية والرحيميـة**»، وإلى مسألة العبادة والعبوديّة واختصاصهما بذات الله دون سواه.

إنّهـا تتضمّن في الواقع توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة.

وبعبـارة أُخرى: تتضمّن هـذه السّورة مراحل الإيمان الثـلاث: الاعتقاد بالقلب، والإقـرار باللسان، والعمل بـالأركان. ومن المعلوم أنّ لفـظ «**الأُمّ**» يعني هنا الأساس والجذر.

٣- محتوى السّورة:

ويُمكن تقسيم هذه السّورة، من منظار آخر، إلى قسمين: قسم يختصّ بحمد الله والثناء عليه، وقسم يتضمّن حاجات العبد.

وإلى هذا التقسيم يُشير الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**قَـالَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ: قَسَّـمْتُ فَاتِحَـةَ الْكِتَـابِ بَيْنِـي وَبَيْـنَ عَبْـدِي، فَنِصْـفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.**

إِذَا قَـالَ الْعَبْدُ ﴿بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ جَـلَّ جَلاَلُهُ: بَدَأَ عَبدِي باسْمِي وَحَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أُتَمِّمَ لَهُ أُمُورَهُ وَأُبارِكَ لَهُ فِي أحوَالِهِ.

(١) مستدرك الوسائل، النوري، ج٤، ص٣٣٢.

فَـإذا قَالَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللّٰهُ جَلَّ جلالُهُ: حَمِدَنِي عَبدِي وَعَلِمَ أَنَّ النِعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنَّ ٱلبَلايَا الَّتِي دَفَعْتُ عَنْهُ فبِتَطَوُّلِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أُضِيفُ لَهُ إلى نِعَمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الآخِرَةِ، وَأَدْفَعُ عَنْهُ بَلايَا الآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلايَا الدُّنْيَا.

وَإِذَا قَـالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَـالَ اللّٰه جَـلَّ جَلالُهُ: شَهِـدَ لِي عَبْدِي أَنِّـي اَلرَّحْمنُ الرَّحِيمُ، أُشْهِدُكُمْ لأُوَفِّرَنَّ مِنْ رَحْمَتِي حَظَّهُ وَلأُجْزِلَنَّ مِنْ عَطَائِي نَصِيبَهُ.

فَـإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ اللّٰه تَعالى: أُشهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ بِأَنِّي أَنَا مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ لأُسَهِّلَنَّ يَوْمَ الْحِسابِ حِسَابَهُ، وَلأَتَقَبَّلَنَّ حَسَنَاتِهِ، وَلأَتَجَاوَزَنَّ عَنْ سَيِّئَاتِهِ.

فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قَالَ اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، إِيَّايَ يَعْبُدُ أُشْهِدُكُمْ لأُثِيبَنَّهُ عَلَى عِبَادَتِهِ ثَوَاباً يَغْبِطُهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَهُ في عِبَادَتِهِ لي.

فَـإِذَا قَالَ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قَـالَ اللّٰه تَعالى: بِـيَ اسْتَعَانَ عَبْدِي، وَإِلَـيَّ الْتَجَأَ، أُشْهِدُكُمْ لأُعِينَنَّهُ عَلى أَمْرِهِ، ولأُغِيثَنَّهُ فِي شَدَائِدِهِ وَلآخُذَنَّ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ.

فَإِذَا قَالَ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إلى آخر السّورة قَالَ اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ وَقَد اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي وَأَعْطَيتُهُ مَا أَمَّلَ وَآمَنْتُهُ مِمَّا مِنْهُ وَجِلَ»[1].

٤- في رحاب سورة الفاتحة

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

دأبـت الأمم والشّعوب على أن تبدأ كلّ عمل هامّ ذي قيمة باسم كبير من رجالها. والحجر الأساس لكلّ مؤسّسة هامّة يوضع باسم شخصيّة مرموقة في نظر أصحابها، أي أنّ أصحاب المؤسّسة يبدأون العمل باسم تلك الشّخصيّة.

ولكن، أليس من الأفضل أن يبدأ العمل في أُطروحة أُريد لها البقاء والخلود باسم وجـود خالد قائـم لا يعتريه الفناء؟ فكلّ ما فـي الكون يتّجه إلى الـزّوال والفناء، إلّا الذّات الأبديّة الخالدة... ذات اللّه سبحانه.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٢، ص٦٠.

إنّ خلـود ذكر الأنبيـاء سببه ارتباطهم بـالله وبالقيم الإنسانيّـة الإلهيّة الخالدة كالعدالـة وطلب الحقيقة، وخلود اسم رجل في التّاريخ مثل «**حاتم الطّائيّ**» يعود إلى ارتباطه بواحدة من تلك القيم هي «**السّخاء**».

صفـة الخلود والأبديّة يختصّ بها الله تعالى من بين سائر الموجودات، ومن هنا ينبغي أن يُبدأ كلّ شيء باسمه وتحت ظلّه وبالاستمداد منه. ولذلك كانت البسملة أوّل آية في القرآن الكريم.

ولذلك جاء في الحديث النّبويّ الشريف: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ فيه فَهُوَ أَبْتَرُ**»(١).

وأمير المؤمنين عليه السلام بعد نقله لهذا الحديث الشريف قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ أَوْ يَعْمَلَ عَمَلاً فَيَقُولُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهُ يُبَارَكَ فيه**»(٢).

ويقول الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام:

«**... وَيَنْبَغِي الاتْيَانُ بِهِ عِنْدَ افْتِتَاحِ كُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ أَوْ صَغِيرٍ لِيُبَارَكَ فيه**»(٣).

بعبارة موجزة: بقاء العمل وخلوده يتوقّف على ارتباطه بالله.

٢ـ كلمة: الله

وهـي علم للذات الإلهيّـة المقدّسة وهي أشمل أسماء ربّ العالمين، فكلّ اسم ورد لله في القـرآن الكريم وسائر المصادر الإسلاميّة يُشير إلى جانبٍ معيّن من صفات الله. والاسـم الوحيد الجامع لكلّ الصفات والكمـالات الإلهيّة أو الجامع لكلّ صفات الجلال والجمال هو «**الله**».

ولذلـك اعتُبـرت بقيّـة الأسمـاء صفـات لله تعالـى مثـل: «**الغفـور**» و«**الرحيم**» و«**السميع**» و«**العليم**» و«**البصير**» و«**الرزّاق**» و«**ذو القوّة**» و«**المتين**» و«**الخالق**».

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٧، ص١٧٠.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٩، ص٢٤٣.
(٣) التفسير الصافي، الكاشاني، ج١، ص٨٢.

٣ ـ الرّحمة الإلهيّة الخاصّة والعامّة:

المشهور بين جماعة من المفسّرين أنّ صفة «**الرحمن**» تُشير إلى الرحمة الإلهيّة العامّة، وهي تشمل الأولياء والأعداء، والمؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين، فرحمته تعمّ المخلوقات، وخوان فضله ممدود أمام جميع الموجودات، وكلّ العباد يتمتّعون بموهبة الحياة، وينالون حظّهم من مائدة نعمه اللّامتناهية. وهذه هي رحمته العامّة الشاملة لعالم الوجود كافّة وما فيه من كائنات.

وصفة «**الرحيم**» إشارة إلى رحمته الخاصّة بعباده الصالحين المطيعين، قد شملتهم بإيمانهم وعملهم الصالح، وَحُرِم منها المنحرفون والمجرمون.

وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قَالَ: «**وَاللهِ إلهُ كُلِّ شَيْءٍ الرَّحْمنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنينَ خَاصَّةً**».

٤- الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بعد البسملة، أوّل واجبات العباد أن يستحضروا دوماً مبدأ عالم الوجود، ونِعَمه اللامتناهية، هذه النِّعم الّتي تُحيطنا وتغمر وجودنا، وتهدينا إلى معرفة الله من جهة، وتدفعنا إلى طريق العبوديّة من جهة أُخرى.

وعندما نقول إنّ النِّعم تُشكِّل دافعاً ومحرِّكاً إلى طريق العبوديّة فذلك، لأنّ الإنسان مفطور على البحث عن صاحب النعمة حينما تصله النعمة، ومفطور على أن يشكر المنعم على إنعامه.

من هنا فإنّ علماء الكلام (علماء العقائد) يتطرّقون في بحوثهم الأوّلية لهذا العلم إلى «**وجوب شكر المنعم**» باعتباره أمراً فطريّاً وعقليّاً دافعاً إلى معرفة الله سبحانه.

وإنّما قُلنا إنّ النِّعم تهدينا إلى معرفة الله، لأنّ أفضل طريق وأشمل سبيل لمعرفته سبحانه، دراسة أسرار الخليقة، وخاصّة ما يرتبط بوجود النِّعم في حياة الإنسان.

خـطّ التوحيد الّذي دعا إليه الأنبياء عليهم السلام يتميّـز بنبذ فكرة الأرباب المتعدِّدين، وهداية البشريّة نحو الإله الواحد الأحد، وانطلاقاً من هذه الأهميّة القصوى للقضاء علـى الآلهة المتعدِّدة جاء التأكيـد القرآنيّ بعد آية البسملـة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وبهذا يرسم القرآن الكريـم خطّ البطلان على جميع الأرباب المزيّفين، ويغرس محلّها أزهار التوحيد والاتّحاد.

هـذا التأكيـد يتلوه الإنسان المسلـم عشر مرّات في صلواتـه اليوميّة ـ على الأقل ـ لتترسّخ فكرة التوحيد، وفكرة رفض ربوبيّة كلّ الأرباب المدّعاة، غير ربوبيّة الله ربّ العالمين.

ربوبيّة الله طريق لمعرفة الله

كلمـة (الـربّ)، وإن كانت تعني في الأصـل المالك والصاحـب، إلّا أنّها تتضمّن أيضاً معنى الصاحب المتعهّد بالتربية والرعاية.

وإمعان النظر في المسيرة التكامليّة للموجودات الحيّة، وفي التغييرات والتحوّلات الّتـي تجري في عالـم الجماد، وفـي الظروف الّتـي تتوفّر لتربية الموجـودات، وفي تفاصيل هذه الحركات والعمليّات، هو أفضل طريق لمعرفة الله. والتنسيق اللاإراديّ بين أعضاء جسدنا هو نموذج حيّ لذلك.

يقـول تعالـى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

(١) سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

خلاصة

من خصائص سورة الحمد أنّها أساس القرآن وأمّ الكتاب

أهمّيّة هذه السّورة تتّضح من محتواها، فهي في الحقيقة عرض لكلّ محتويات القرآن من توحيد ومعاد وهداية وضلال.. تتضمّن هذه السّورة مراحل الإيمان الثلاث: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. ويُمكن تقسيم هذه السّورة، من منظار آخر، إلى قسمين: قسم يختصّ بحمد الله والثناء عليه، وقسم يتضمّن حاجات العبد.

الإعجاز العلميّ في القرآن

كلّ الكواكب متحرّكة

لقـد أصبح أمراً ثابتاً ومؤكّداً في علم الفلـك الحديث بأنّه لا وجود لكوكب ساكن في الكون وأنّه لا صحّة لفكرة تقسيم السيّارات والكواكب إلى ثابتة ومتحرّكة كما كان يقـول القدماء، بل إنّه لا وجود حتّى لكوكـب واحد ساكن في هذا العالم اللّامتناهي. وحتّـى سنيـن خلت كانت السيّارات تُعـدّ بحدود الـ٣٠٠ مليون بينمـا صاروا يعجزون اليوم عن عدّها وإحصائها.

وقـد ورد في القرآن الكريـم بصراحة قول الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي أنّه لا وجود للكوكب الثابت بل إنّ كلّ واحد منها يسبح ويتحرّك في المدار الّذي حُدِّد لـه من قِبَل الله تعالـى، في حين أنّ بطليموس كان يقول بـأنّ الفلك الثامن ما هو إلّا عبـارة عن فلك ثابت وأنّ الكواكـب الموجودة فيه كواكب ساكنة، لكنّ القرآن الكريم يؤكّد أنّ الجميع في حالة حركة مستمرّة.

الجبال هي المسامير المُثبتة للأرض

لقـد أصبـح من الأمور الثابتـة اليوم كون الجبـال الواقعة فوق الأرضـ والممتدّة جذورهـا في عمق الكرة الأرضيّـة هي السبب في استقرار الأرضـ. فلولا وجود هذه الجبـال فإنّ هذه الكـرة الأرضيّة الّتي تقطع أربعة فراسخ فـي حركتها الانتقاليّة في كلّ دقيقـة وأربعـة فراسخ أخرى في حركتهـا الموضعيّة في كلّ ثانيـة و٢٤٠ فرسخاً في حركتها الدورانيّـة حول نفسها كانت في طريقها إلى الزوال والتلاشي، لكنّ هذه الجبـال هي الّتي تمنع تلاشيهـا. وهذا الأمر سبق أن أشار إليه القرآن المجيد وأكّده

قبـل ما يزيـد على ألف وأربعمائة سنة مضت حيث قـال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ كما جاء في سورة النبأ، الآية: ٧.

وكمـا يقول أمير المؤمنين علـيّ عليه السلام في إحدى خطبه الغراء: «**فطر الخلائق بقدرته ووتّد بالصخور ميدان أرضه**»[١].

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٤١.

الدرس الرابع عشر

تفسير سورة الفاتحة (٢)

أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب بعضاً من معاني آيات سورة الفاتحة المباركة.

٢. أن يتعرّف إلى صفات أهل الهدى وأهل الضلال.

١ - مَالِكِ يَوْمِ الدِّين

هـذه الآية تُلفت الأنظار إلى أصل هامّ آخر من أصـول الإسلام، هو يوم القيامة: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، وبذلك يكتمل محـور المبدأ والمعاد، الّذي يُعتبر أساس كلّ إصلاح أخلاقيّ واجتماعيّ في وجود الإنسان.

تعبير (مَالِكِ) يوحي بسيطرة اللّه التامّة وهيمنته المستحكمة على كلّ شيء وعلى كلّ فـرد في ذلك اليـوم، حيث تحضر البشريّة في تلك المحكمة الكبرى، وتقف أمام مالكها الحقيقيّ للحساب، وترى كلّ ما فعلته وقالته، بل وحتّى ما فكّرت به، حاضراً..

الإيمـان بيـوم القيامـة، وبتلـك المحكمـة الإلهيّة الكبـرى الّتي يخضـع فيها كلّ شـيء للإحصاء الدقيق، لـه الأثر الكبير في ضبـط الإنسان أمام الـزلّات، ووقايته مـن السقوط فـي المنحدرات. وأحد أسباب قدرة الصلاة علـى النهي عن الفحشاء والمنكـر هو أنّها تُذكِّر الإنسان بالمُبدئ المطّلع على حركاته وسكناته، وتُذكّره أيضاً بمحكمة العدل الإلهيّ الكبرى.

التركيز على مالكيّـة اللّه ليوم القيامة يُقارع من جهة أُخرى معتقدات المشركين ومنكـري المعاد، لأنّ الإيمان بـاللّه عقيدة فطريّة عامّة، حتّى لـدى مشركي العصر الجاهلـيّ، وهذا مـا يُوضّحه القرآن إذ يقـول: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1] بينما الإيمان بالمعاد ليس كذلك، فهؤلاء المشركون كانوا يواجهون مسألة المعاد بعناد واستهزاء ولجاج: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾[2].

وروي عن الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام: «**أنّه كان إذا قرأ** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ **يكرّرها حتّى يكاد أن يموت**»[3].

أمّا تعبير «**يَوْمِ الدِّين**»، فحيثما ورد في القرآن يعني يوم القيامة، وتكرّر ذلك في أكثر من عشرة مواضع من كتاب الله العزيز، وفي الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩ من سورة الانفطار ورد هذا المعنى بصراحة.

وأمّا سبب تسمية هذا اليوم بيوم الدِّين، فلأنّ يوم القيامة يوم الجزاء، و «**الدِّين**» في اللغة «**الجزاء**»، والجزاء أبرز مظاهر القيامة، ففي ذلك اليوم تُكشف السرائر ويُحاسب النّاس عمّا فعلوه بدقّة، ويرى كلّ فرد جزاء ما عمله صالحاً أم طالحاً.

وفي حديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: «**يَوْمُ الدِّينِ هُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ**»[4] «**والدِّين**» إستناداً إلى هذه الرواية يعني «**الحساب**».

٢ - إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

في هذه الآية يتغيّر لحن السّورة، إذ يبدأ فيها دعاء العبد لربّه والتضرّع إليه. الآيات السابقة دارت حول حمد الله والثناء عليه، والإقرار بالإيمان والاعتراف بيوم القيامة. وفي هذه الآية يشعر الإنسان ـ بعد رسوخ أساس العقيدة ومعرفة الله في نفسه ـ بحضوره بين يدي الله... يُخاطبه ويُناجيه، ويُقرّ أوّلاً بتعبّده، ثمّ يستمدّ العون منه وحده دون سواه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٧ ـ ٨.
(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٦، ص١٥٢.
(٤) الأمثل، مكارم الشيرازي، ج١، ص٤٨.

بعبارة أُخرى: عندما تتعمّق مفاهيم الآيات السابقة في وجود الإنسان، وتتنوّر روحه بنور ربّ العالمين، ويُدرك رحمة الله العامّة والخاصّة، ومالكيّته ليوم الجزاء، يكتمل الإنسان في جانبه العقائديّ. وهذه العقيدة التوحيديّة العميقة، ذات عطاء يتمثّل.

أوّلاً: في تربية الإنسان العبد الخالص لله، المتحرّر من العبوديّة للآلهة الخشبيّة والبشريّة والشهويّة.

ثانياً: في الاستمداد من ذات الله تبارك وتعالى خاصّة دون غيره.

الآيات السابقة تحدّثت في الحقيقة عن توحيد الذّات والصِّفات، وهذه الآية تتحدّث عن توحيد العبادة وتوحيد الأفعال.

وقد ذكرنا في درس سابق معنى هذا التوحيد الّذي يعني أنّ الله هو المؤثّر الحقيقيّ في العالم (لاَ مُؤَثِّرَ فَي الْوُجُودِ إلاَّ الله). وهذا لا يعني إنكار عالم الأسباب، وتجاهل المسبّبات، بل يعني الإيمان بأنّ تأثير الأسباب إنّما كان بأمر الله، فالله سبحانه هو الّذي يمنح النار خاصّيّة الإحراق، والشمس خاصّيّة الإنارة، والماء خاصّيّة الإحياء.

ثمرة هذا الاعتقاد أنّ الإنسان يُصبح معتمداً على (الله) دون سواه، ويرى أنّ الله هو القادر العظيم فقط، ويرى ما سواه شبحاً لا حول له ولا قوّة بل لا يرى شيئاً غير الله، وهو وحده سبحانه اللائق بالاتّكال والاعتماد عليه في كلّ الأمور.

وبالتّالي هو الواحد الّذي يستحقّ العبادة فلا معبود سواه.

٣- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ

بعد أن يُقرّ الإنسان بالتسليم لربّ العالمين، ويرتفع إلى مستوى العبوديّة لله والاستعانة به تعالى، يتقدّم هذا العبد بأوّل طلب من بارئه، وهو الهداية إلى الطريق المستقيم، طريق الطّهر والخير، طريق العدل والإحسان، طريق الإيمان والعمل الصالح، ليهبه الله نعمة الهداية كما وهبه جميع النِّعم الأخرى.

الإنسان في هذه المرحلة مؤمن طبعاً وعارف بربّه، لكنّه معرّض دوماً بسبب العوامل المضادّة إلى سلب هذه النعمة والانحراف عن الصراط المستقيم. من هنا كان عليه لزاماً أن يُكرِّر عشر مرّات في اليوم على الأقلّ طلبه من الله أن يقيه العثرات والانحرافات.

أضف إلى ما تقدّم أنّ الصراط المستقيم هو دين الله، وله مراتب ودرجات لا يستوي في طيّها جميع النّاس، ومهما سما الإنسان في مراتبه، فثمّة مراتب أُخرى أبعد وأرقى، والإنسان المؤمن توّاق دوماً إلى السير الحثيث على هذا السلّم الارتقائيّ، وعليه أن يستمدّ العون من الله في ذلك.

عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، في تفسير ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال: أي: «**أَدِمْ لَنَا تَوْفِيقَكَ الَّذِي أَطَعْنَاكَ بِهِ فِي مَا مَضَى مِنْ أَيَّامِنَا، حَتَّى نُطِيعَكَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَعْمَارِنَا**»[1].

وقال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «**يَعْنِي أَرْشِدْنَا لِلُزُومِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَحَبَّتِكَ، وَالْمُبلِّغِ إِلَى جَنَّتِكَ، وَالْمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا فَنَعْطَبَ، أَوْ أَنْ نَأْخُذَ بِآرَائِنَا فَنَهْلَكَ**»[2].

٤- صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ

خطّان منحرفان!

هذه الآية تفسير واضح للصراط المستقيم المذكور في الآية السابقة، إنّه صراط المشمولين بأنواع النِّعم (مثل نعمة الهداية، ونعمة التوفيق، ونعمة القيادة الصالحة، ونعمة العلم والعمل والجهاد والشهادة) لا المشمولين بالغضب الإلهيّ بسبب سوء فعالهم وزيغ قلوبهم، ولا الضائعين التائهين عن جادّة الحقّ والهدى.

(١) معاني الأخبار، الصدوق، ص٣٢.
(٢) م. ن، ص٣٤.

ولأنّنا لسنا على معرفة تامّة بمعالم طريق الهداية، فإنّ الله تعالى يأمرنا في هذه الآية الكريمة أن نطلب منه هدايتنا إلى طريق الأنبياء والصالحين من عباده: (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، ويُحذِّرنا كذلك من أنّ أمامنا طريقين منحرفين، وهما طريق (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)، وطريق (الضّالّينَ)، وبذلك يتبيّن للإنسان طريق الهداية بوضوح.

١ ـ من هم (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)؟

تُبيّن الآية الكريمة من سورة النساء من هم الّذين أنعم الله عليهم، إذ يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

والآية تُقسِّم الّذين أنعم الله عليهم إلى أربعة مجاميع: الأنبياء، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين.

٢ ـ من هم (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)، ومن هم (الضَّالِّينَ)؟

يتّضح من الآية الكريمة أنّ (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) و (الضّالّينَ) مجموعتان لا مجموعة واحدة، وأمّا الفرق بينهما:

فإنّه يُستفاد من استعمال التعبيرين في القرآن أنّ «المغضوب عليهم» أسوأ وأحطّ من «الضّالّين»، أي إنّ الضّالين هم التائهون العاديّون، والمغضوب عليهم هم المنحرفون المعاندون، أو المنافقون، ولذلك استحقّوا لعن الله وغضبه.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ﴾[3].

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٦.

(الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) إذاً يسلكون ـ إضافة إلى كفرهم ـ طريق اللّجاج والعناد ومعاداة الحقّ، ولا يألون جهداً في توجيه ألوان التنكيل والتعذيب لقادة الدعوة الإلهيّة.

يقول سبحانه: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[1].

خلاصة

في هذه السورة المباركة يكون الإنسان بين يدي الله، فهو مالك يوم الدِّين أي يوم الحساب، يُخاطبه ويُناجيه، يتحدّث إليه أوّلاً عن تعبّده، ثمّ يستمدّ العون منه وحده دون سواه قائلاً: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ». ويسأله الهداية: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ؛ أي طريق الطّهر والخير، طريق العدل والإحسان، طريق الإيمان والعمل الصالح، الّذي هو طريق الأنبياء والصالحين من عباده لا طريق المغضوب عليهم والضالّين.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

للمطالعة

من اسرار القرآن

من الأسرار الّتي أشار إليها القرآن الكريم كرويّة الأرض، قال تعالى:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾[1].

﴿رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ﴾[2]. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ﴾[3].

ففي هذه الآيات الكريمة دلالة على تعدّد مطالع الشمس ومغاربها، وفيها إشارة إلى كرويّة الأرض، فإنّ طلوع الشمس على أيّ جزء من أجزاء الكرة الأرضيّة يُلازم غروبها عن جزء آخر، فيكون تعدّد المشارق والمغارب واضحاً لا تكلّف فيه ولا تعسّف. وقد حمل القرطبيّ وغيره المشارق والمغارب على مطالع الشمس ومغاربها باختلاف أيّام السنة، لكنّه تكلّف لا ينبغي أن يُصار إليه، لأنّ الشمس لم تكن لها مطالع معيّنة ليقع الحلف بها، بل تختلف تلك باختلاف الأراضي. فلا بدّ من أنْ يُراد بها المشارق والمغارب الّتي تتجدّد شيئاً فشيئاً باعتبار كرويّة الأرض وحركتها.

وفي أخبار أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأدعيتهم وخطبهم ما يدلّ على كرويّة الأرض.

ومن ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«صحبني رجل كان يُمسي بالمغرب ويغلس بالفجر، وكنت أنا أُصلّي المغرب إذا غربت الشمس، وأصلّي الفجر إذا استبان لي الفجر. فقال لي الرجل: ما يمنعك أن تصنع مثل ما أصنع؟ فإنّ الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنّا، وهي طالعة على قوم آخرين بعد. فقلت: إنّما علينا أن نُصلّي إذا وجبت الشمس عنّا وإذا طلع

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٥.
(٣) سورة المعارج، الآية: ٤٠.

الفجر عندنا، وعلى أولئك أن يُصلّوا إذا غربت الشمس عنهم»[1].

يستدلّ الرجل على مراده باختلاف المشرق والمغرب الناشئ عن استدارة الأرض، ويُقرّه الإمام عليه السلام على ذلك ولكن يُنبّهه على وظيفته الدينيّة.

ومثله قول الإمام عليه السلام في خبر آخر: «**إنّما عليك مشرقك ومغربك**»[2].

ومن ذلك ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء: «**وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً، وأمداً ممدوداً، يولج كلّ واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد**»[3].

(١) الوسائل، ج ١، ص ٢٣٧، باب ١١٦، أنّ أوّل وقت المغرب غروب الشمس.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٢١.
(٣) الصحيفة السجّادية الكاملة.

الدرس الخامس عشر

تفسير سورة الضحى

أهداف الدرس

١. أن يطّلع الطالب على محتوى السورة وسبب نزولها.

٢. أن يتبيّن بعضاً من معاني آياتها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ *

١ - في رحاب السّورة

هـذه السّورة نزلت في مكّة. وحسـب بعض الرّوايات أنَّها نزلـت حين كان الرّسول ﷺ متألّماً بسبب تأخّر نزول الوحي، وتقوُّل الأعداء نتيجة هذا الانقطاع المؤقّت، نزلت السّورة كغيث على قلب النّبيّ ﷺ، وأمدّته بطاقة جديدة، وقطعت ألسن الأعداء.

هذه السّورة تبدأ بقَسَمَين، ثمّ تُبشِّر النّبيّ بأنّ الله لا يتركه أبداً.

ثمّ تُبشّره بعطاء ربّانيّ يجعله راضياً، ثمّ تعرض له صوراً من حياته السابقة تتجسّد فيها الرحمة الإلهيّة الّتي كانت تشمله دائماً وتحميه وتسنده في أشدّ اللحظات.

وفـي نهاية السّورة تتكـرّر الأوامر الإلهيّة برعاية اليتيـم والسائل، وبإظهار النِّعم الإلهيّة (شكراً لهذه النِّعم).

٢ - سبب النّزول

روِيَ عن ابن عبّاس قال: «**احتبس الوحي عن رسـول الله ﷺ خمسـة عشر يوماً**،

فقال المشركون إنّ محمّداً قد ودّعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه، فنزلت السّورة»[1].

٣- التّفسير

في بداية السّورة المباركة قسَمان: الأوّل بالنّور، والثّاني بالظلمة، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ وهو أوّل النهار حين تغمر شمسه كلّ مكان.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي إذا عمّت سكينته كلّ مكان.

وبين القَسَمين ومحتوى السّورة تشابه كبير وارتباط وثيق. النهار مثل نزول نور الوحي على قلب النّبيّ ﷺ، والليل كانقطاع الوحي المؤقّت، وهو أيضاً ضروريّ في بعض المقاطع الزمنيّة.

وبعد القَسَمين، يأتي جواب القَسَم، فيقول سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

«**قلى**» من «**قلا**» ـ على وزن صدا، وهو شدّة البغض، ومن القَلو أيضاً بمعنى الرّمي. وكلا المعنيين يعودان إلى أصل واحد فكأنّ المقلوّ هو الّذي يقذفه القلب من بُغضه فلا يَقبَلُه.

على أيّ حال، في هذا التعبير سَكنٌ لقلب النّبيّ ﷺ وتسلٍّ له، ليعلم أنّ التأخير في نزول الوحي إنّما يحدث لمصلحة يعلمها الله تعالى، وليست ـ كما يقول الأعداء ـ لترك اللّهَ نبيّه أو لسخطه عليه. فهو مشمولٌ دائماً بلطف الله وعنايته الخاصّة، وهو دائماً في كنف حماية الله سبحانه.

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾

أنت في هذه الدنيا مشمول بألطاف الله تعالى، وفي الآخرة أكثر وأفضل. أنت آمن من غضب الله في الأمد القريب والبعيد. وباختصار أنت عزيز في الدنيا والآخرة... في الدنيا عزيز وفي الآخرة أعزّ...

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص١٣٦.

وتأتي البشرى للنبيّ الكريم لتقول له:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، وهـذا أعظـم إكـرام وأسمـى احتـرام من ربّ العالمين لعبده المصطفى محمّد ﷺ. فالعطاء الرّبانيّ سيُغدق عليه حتّى يرضى... حتّـى ينتصر على الأعـداء ويعمّ نور الإسلام الخافقين، كمـا أنّه سيكون في الآخرة أيضاً مشمولاً بأعظم الهبات الإلهيّة.

٤- فلسفة انقطاع الوحي:

يتبيّـن من الآيـات الكريمة في هذه السّورة أنّ النّبـيّ ﷺ لا يملك لنفسه شيئاً إلاّ من عند الله... لم يكن له اختيار حتّى في نزول الوحي. متى ما شاء الله ينزل الوحي ومتـى مـا شاء ينقطع. ولعلّ انقطاع الوحي كان ردّاً علـى أُولئك الّذين كانوا يُطالبون النبـيّ بمعاجز مقترحة وفق أذواقهـم، أو كانوا يقترحون عليـه تغيير بعض الأحكام والنصوص، وكان ﷺ يقول لهـم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ...﴾[1].

٥- الشكر على كلّ هذه النّعم الإلهيّة:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

ذكرنا أنّ هدف هذه السّورة المباركة تسلية قلب النّبيّ ﷺ وبيان ألطاف الله الّتي شملتـه. وهـذه الآيات المذكورة أعلاه تُجسّد للنّبي ثـلاث هبات من الهبات الخاصّة الّتي أنعم الله بها على النّبيّ، ثمّ تأمره بثلاثة أوامر.

النعمة الأولى:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

فقـد كنت يا محمّد في رحم أُمّك حين توفّـي والدك فآويتك إلى كنف جدّك عبد المطّلب «**سيّد مكّة**».

وكنـت في السادسة حين توفّيت والدتك، فزاد يتمـك، لكنّني زدت حبّك في قلب «**عبد المطّلب**».

وكنت في الثامنة حين رحل جدّك «**عبد المطّلب**»، فسخّرت لك عمّك «**أبا طالب**».

النعمة الثّانية:

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾

نعـم، لم تكـن أيّها النّبـيّ على علم بالنبـوّة والرسالـة، ونحن أنزلنا هـذا النور علـى قلبـك لتهدي بـه الإنسانيّة. وهـذا المعنى ورد فـي قوله تعالـى أيضاً: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

مـن الواضح أنّ النّبـيﷺ كان فاقداً لهذا الفيض الإلهيّ قبـل وصوله إلى مقام النبوّة، فالله سبحانه أخذ بيده وهداه وبلغ به هذا المقام. وإلى هذا تُشير الآية (٣) مـن سـورة يوسـف: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.

مـن المؤكّد أنّه لولا الهدايـة الإلهيّة والإمداد الغيبيّ مـا استطاع الرّسولﷺ أن يهتدي المسير نحو الهدف المقصود.

مـن هنا فـإنّ المقصود من الضلالة في كلمة «**ضـالّاً**» في الآيـة ليس نفي الإيمان والتوحيـد والطهـر والتقوى عن النّبيّ، بـل بقرينة الآيات الّتي أشرنـا إليها تعني نفي العلم بأسرار النبوّة وبأحكام الإسلام، وتعني عدم معرفة هذه الحقائق، كما أكّد على ذلك كثير من المفسّرين. لكنّهﷺ بعد البعثة اهتدى إلى هذه الأُمور بعون الله تعالى.

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

النعمة الثالثة:

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾

لقد جعلناك تستأثر باهتمام «**خديجة**» هذه المرأة المخلصة الوفيّة لتضع كلّ ثروتها تحت تصرّفك من أجل تحقيق أهدافك، وبعد ظهور الإسلام رزقك مغانم كثيرة في الحروب ساعدتك في تحقيق أهدافك الرساليّة الكبرى.

ثمّ في الآيات التالية ثلاثة أوامر تصدر إلى الرسول باعتبارها نتيجة الآيات السابقة. والخطاب وإن كان موجّهاً إلى الرسول ﷺ، لكنّه يشمل أيضاً كلّ المسلمين.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾

«**تقهر**» من القهر أي الغلبة مع التحقير، وأيضاً تُستعمل في كلّ واحد من المعنيين، ومعنى التحقير هنا هو المناسب.

وهذا يدلّ على أنّ هناك مسألة أهمّ من الإطعام والإنفاق بشأن الأيتام، وهي اللطف بهم والعطف عليهم وإزالة إحساسهم بالنقص العاطفيّ، ولذا جاء في الحديث المعروف عن رسول الله ﷺ: «**من مسح يده على رأس يتيم ترحمّاً له، كتب الله له بكلّ شعرة مرّت عليه يده حسنة**»[1].

كأنّ الله يخاطب نبيّه قائلاً: لقد كُنت يتيماً أيضاً وعانيت من آلام اليتم، والآن عليك أن تهتمّ بالأيتام كلّ اهتمام وأن تروي روحهم الظمأى بحبّك وعطفك.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾

«**نَهَرَ**» بمعنى ردّ بخشونة.

وفي معنى «**السائل**» عدّة تفاسير.

الأوّل: أنّه المتّجه بالسؤال حول القضايا العلميّة والعقائديّة والدينيّة، والدليل على ذلك هو أنّ هذا الأمر تفريع على ما جاء في الآية السابقة: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا

(١) فقه الرضا، ابن بابويه، ص١٧٢.

﴿فَهَدَىٰ﴾، فشكر هذه الهداية الإلهيّة يقتضي أن تسعى أيّها النّبيّ في هداية السائلين، وأن لا تطرد أيّ طالب للهداية عنك.

والتّفسير الآخر: هو الفقير في المال والمتاع، والأمر يكون عندئذ ببذل الجهد في هذا المجال، وبعدم ردّ هذا الفقير السائل يائساً.

والثّالث: أنّ المعنى يشمل الفقير علميّاً والفقير ماديّاً، والأمر بتلبية احتياجات السائل في المجالين. وهذا المعنى يتناسب مع الهداية الإلهيّة لنبيّه ﷺ، ومع إغنائه بعد عيلولته.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

والحديث عن النعمة قد يكون باللسان، وبتعابير تنمّ عن غاية الشكر والامتنان، لا عن التفاخر والغرور. وقد تكون بالعمل عن طريق الإنفاق من هذه النعمة في سبيل الله، إنفاقاً يُبيّن مدى هذه النعمة. هذه هي خصلة الإنسان السخيّ الكريم... يشكر الله على النعمة، ويقرن الشكر بالعمل، خلافاً للسخفاء البخلاء الّذين لا يكفّون عن الشكوى والتأوّه، ولا يكشفون عن نعمة ولو حصلوا على الدنيا وما فيها، وجوههم يعلوها سيماء الفقر، وكلامهم مفعم بالتذمّر والحسرة، وعملهم يكشف عن فقر!

بينما روي عن رسول الله ﷺ: «**إنّ الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة يُحبّ أن يرى أثر النعمة عليه**»[1].

من هنا يكون معنى الآية: بيّن ما أغدق الله عليك من نِعَم بالقول والعمل، شكراً على ما أغناك الله إذ كنت عائلاً.

بعض المفسّرين ذهب إلى أنّ النعمة في الآية هي النعمة المعنويّة ومنها النبوّة والقرآن، والأمر للنبيّ بالإبلاغ والتبيين، وهذا هوالمقصود من الحديث بالنعمة.

(١) كنز العمّال، ج٦، ص٦٤١.

ويحتمل أيضاً أن يكون المعنى شاملاً للنعم الماديّة والمعنويّة، لذلك ورد عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قوله: «**حدّث بما أعطاك الله، وفضّلك، ورزقك، وأحسن إليك وهداك**»(١).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أُعطي خيراً فلم يُر عليه، سُمّي بغيض الله، معادياً لنعم الله**»(٢).

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**إنّ الله جميل يُحبّ الجمال، ويُحبّ أن يرى أثر النعمة على عبده**»(٣).

خلاصة

القرآن يتحدّى

يتبيّن من الآيات الكريمة في هذه السّورة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لنفسه شيئاً إلّا من عند الله، وكما تُجسِّد للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث هبات من الهبات الخاصّة الّتي أنعم الله بها عليه:

الرعاية عند اليتم، والهدى بالوحي، والغنى بعد الفقر.

وتتضمّن هذه السورة المباركة إشارة مضمونيّة إلى مسألة أهمّ من الإطعام والإنفاق بشأن الأيتام، وهي اللطف بهم والعطف عليهم وإزالة إحساسهم بالنقص العاطفيّ.

الإنسان السخيّ الكريم... يشكر الله على النعمة، ويقرن الشكر بالعمل، ويحدّث بها حديث الشكر لا حديث الغرور.

(١) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٠٧.
(٢) تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ٧١٩٢، وقريب من هذا المعنى في الكافي، ج ٦، كتاب الزي والتجميل، حديث ٢.
(٣) فروع الكافي، ج٦، ص ٤٣٨.

القرآن يتحدّى

عن هشام بن الحكم قال: اجتمع ابن أبي العوجاء، وأبو شاكر الديصانيّ الزنديق، وعبد الملك البصريّ، وابن المقفّع، عند بيت اللّه الحرام، يستهزئون بالحجّ ويطعنون بالقرآن. فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كلّ واحد منّا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كلّه، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوّة محمّد، وفي إبطال نبوّته إبطال الإسلام، وإثبات ما نحن فيه، فاتّفقوا على ذلك وافترقوا. فلمّا كان من قابل اجتمعوا عند بيت اللّه الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أما أنا فمفكّر منذ افترقنا في هذه الآية: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾[1] فما أقدر أن أضمّ إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكّر في ما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[2] ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال أبو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3] لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفّع: يا قوم إنّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الحجّ، الآية: ٧٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.

﴿ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مرّ بهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2] فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصيّة محمّد إلّا إلى جعفر بن محمّد، والله ما رأيناه قطّ إلّا هبناه واقشعرّت جلودنا لهيبته، ثم تفرّقوا مقرّين بالعجز[3].

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٣) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ١٤٢ – ١٤٣.

الدرس السادس عشر

تفسير سورة البيّنة

أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب بعضاً من مفاهيم السورة المباركة.

٢. أن يتعرّف إلى خير البريّة وشرّها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۞ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۞ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۞

١ - في رحاب السورة

المشهور أنّ هذه السّورة نزلت في المدينة، ومحتواها يؤيّد ذلك، إذ تحدّثت في مواضع متعدّدة عن أهل الكتاب. وغالباً ما واجه المسلمون أهلَ الكتاب في المدينة.

أضف إلى ذلك أنّ السّورة تحدّثت عن الصلاة والزكاة، والزكاة ـ مع أنّها شُرّعت في مكّة ـ اتّخذت طابعها الرسميّ الواسع في المدينة.

هذه السّورة تناولت رسالة رسول الله ﷺ وما فيها من دلائل بيّنة. هذه الرسالة الّتي كان أهل الكتاب ينتظرونها، لكن حين ظهرت، أعرض عنها فريقٌ منهم لما وجدوا فيها من خطر على مصالحهم الشخصيّة.

والسّـورة تُقرِّر حقيقة وجـود الإيمان بـالله والتوحيد والصـلاة والصيام في كلّ الأديان ودعوات الأنبياء عليهم السلام باعتبارها أُصولاً ثابتة خالدة.

وفـي مقطـع آخر مـن السّورة بيـان عن مواقـف أهـل الكتـاب والمشركين تجاه الإسـلام... بعضهم آمن وعمل صالحاً فهو خير المخلوقـات، وبعضهم كفر وأشرك فهو شرّ البريّة.

ذلك دين القيّمة:

فـي بداية السّورة ذكر لأهـل الكتاب (اليهود والنصارى) ومشركـي العرب قبل ظهور الإسلام، فهؤلاء كانوا يدّعون أنّهم غير منفكّين عن دينهم إلاّ بدليل واضح قاطع.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

و«البيّنة» الّتي أرادوها: رسول من الله يتلو عليهم كتاباً مطهّراً من ربّ العالمين:

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

وهذه الصحف فيها من الكتابة ما هو صحيح وثابت وذو قيمة.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

كان هـذا ادّعاؤهم قبـل ظهور الإسلام، وحينمـا ظهر ونزلت آياتـه تغيّر هؤلاء، واختلفـوا وتفرّقـوا! وما تفرّقـوا إلاّ بعد أن جاءهـم الدليل الواضـح والنبيّ الصادح بالحقّ.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

فالآيات الأُولى لهـذه السّورة المباركة تتحدّث عن أهل الكتاب والمشركين الّذين كانوا يدّعون أنّهم سوف يقبلون الدعوة إنّ جاءهم نبيٌّ بالدلائل الساطعة.

لكنّهم أعرضوا حين ظهر، وجابهوه، إلاّ فريق منهم آمن واهتدى.

وهذا المعنى يشبه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ

﴿ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

نعلم أنّ أهل الكتاب كانوا ينتظرون مثل هذا الظهور، ولا بدّ أن يكون مشركو العرب مشاركين لأهل الكتاب في هذا الانتظار لما كانوا يرون فيهم من علم ومعرفة، ولكن حين تحقّقت آمالهم غيّروا مسيرهم والتحقوا باعداء الدعوة.

ثمّة تفسير آخر للآية هو أنّ الله لا يترك أهل الكتاب والمشركين لحالهم حتّى يُتمّ الحجّة عليهم ويُرسل إليهم البيّنة ويُبيّن لهم الطريق. ولذلك أرسل إليهم نبيّ الإسلام لهدايتهم.

بناء على هذا التّفسير، هذه الآية تُشير إلى قاعدة اللطف الّتي يتناولها علم الكلام وتُقرّر أن يبعث الله إلى كلّ قوم دلائل واضحة ليتمّ الحجّة عليهم.

على أيّ حال، «**البيّنة**» في الآية هي الدليل الواضح، ومصداقها حسب الآية الثّانية شخص «**رسول الله**» وهو يتلو عليهم القرآن.

«**صحف**» جمع «**صحيفة**»، وتعني ما يُكتب عليه من الورق، والمقصود بها هنا محتوى هذه الأوراق، إذ نعلم أنّ الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يتلو شيئاً عليهم من الأوراق.

و«**مطهّرة**» أي طاهرة من كلّ ألوان الشرك والكذب والباطل، ومن تلاعب شياطين الجنّ والإنس، كما جاء أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[2].

جملة (فيها كتب قيّمة) إشارة إلى أنّ ما في هذه الصحف السماويّة خالٍ من الانحراف والاعوجاج. من هنا فإنّ هذه «**الكتب**» تعني المكتوبات، أو تعني الأحكام والتشريعات المنصوصة من الله، لأنّ الكتابة جاءت بمعنى تعيين الحكم أيضاً، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3].

وبهذا يكون معنى «**قيّمة**» سويّة ومستقيمة، أو ثابتة ومستحكمة، أو ذات قيمة، أو

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.
(٢) سورة فصّلت، الآية: ٤٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

كلّ هذه المعاني مجتمعة.

ويُحتمل أيضاً أن يكون المعنى هو أنّ القرآن فيه الكتب السماويّة القيّمة السابقة لأنّه يضمّ جميع محتوياتها وزيادة.

ويلفت النظر تقدّم ذكر أهل الكتاب على المشركين في الآية الأولى، والاقتصار على ذكر أهل الكتاب في الآية الرابعة دون ذكر المشركين، بينما الآية تُريد الاثنين.

وهذا يعود ظاهراً إلى أنّ أهل الكتاب كانوا هم الروّاد في هذه المواقف، وكان المشركون تابعين لهم، أو لأنّ أهل الكتاب كانوا أهلاً للذمّ أكثر لما عندهم من علماء كثيرين، وبذلك كانوا ذوي مستوى أرفع من المشركين. فمعارضتهم ـ إذاً ـ أفظع وأبشع وتستحقّ مزيداً من التقريع.

ثمّ يتوالى التقريع لأهل الكتاب، ومن بعدهم للمشركين، لأنّهم اختلفوا في الدِّين الجديد، منهم مؤمن ومنهم كافر، بينما: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾.

ثمّ تُضيف الآية القول:

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

المقصود هو أنّ دين الإسلام ليس فيه سوى التوحيد الخالص والصلاة والزكاة وأمثالها من التعاليم. وهذه أُمورٌ معروفة فلماذا يُعرضون عنها؟.

وقوله تعالى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ أي بمجموع الدِّين والشريعة، أي أنّهم أُمروا أن يعبدوا الله وأن يُخلصوا له الدِّين والتشريع في جميع المجالات، فجملة ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ تؤيّد هذا المعنى لأنّها طرحت الدِّين بمفهومه الواسع.

«**حنفاء**» جمع «**حنيف**»، من الفعل الثّلاثي حَنَفَ، أي عدل عن الضلال إلى الطريق المستقيم. جملة ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ إشارة إلى أنّ الأُصول المذكورة في الآية وهي: التوحيد الخالص، والصلاة «**الارتباط بالله**» والزكاة «**الارتباط بالنّاس**» من

الأُصـول الثابتة الخالدة في جميع الأديان، بل إنّهـا قائمة في أعماق فطرة الإنسان. ذلك لأنّ مصير الإنسان يرتبط بالتوحيد، وفطرته تدعوه إلى معرفة المنعم وشكره، ثمّ إنّ الروح الإجتماعيّة المدنيّة للإنسان تدعوه إلى مساعدة المحرومين.

مـن هنا، هذه التعاليم لها جذور في أعمـاق الفطرة، وهي لذلك كانت في تعاليم كلّ الأنبياء السابقين وتعاليم خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- خير البريّة وشرّها:

الآيات السابقة تحدّثت عن انتظار أهل الكتاب والمشركين لبيّنة تأتيهم من الله، لكنّهم تفرّقوا من بعد ما جاءتهم البيّنة.

هذه الآيات تذكر مجموعتين من النّاس مختلفتين في موقفهما من الدعوة «**كافرة**» و«**مؤمنـة**». تذكر الكافرين أوّلاً بالقـول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

وإنّما قال «**كفروا**» لكفرهم بالدِّين المبين، وإلّا فإنّ كفرهم ليس بجديد.

وعبـارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ عبارة قارعة مثيرة، تعنـي أنّه لا يوجد بين الأحياء وغير الأحياء موجود أضلّ وأسوأ من الّذين تركوا الطريق المستقيم بعد وضوح الحقّ وإتمام الحجّة، وساروا في طريق الضلال، مثل هذا المعنى ورد أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، وفـي قوله سبحانه يصف أهل النّار: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[2].

وهـذه الآية الّتي نحـن بصددها تذهب في وصف هـؤلاء المعاندين إلى أبعد ممّا يذهب إليه غيرها، لأنّها تصفهم بأنّهم شرّ المخلوقات، وهذا بمثابة بيان الدليل على خلودهم في نار جهنّم.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

ولـمَ لا يكونون شرّ المخلوقات وقد فُتحت أمامهم جميع أبواب السعادة فأعرضوا عنها كبراً وغروراً وعناداً؟

الآيـة التالية تذكـر المجموعة الثّانيـة، وهم المؤمنون وتقـول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

ثمّ ذكرت السورة جزاء هؤلاء المؤمنين، وما لهم عند الله من مثوبة:

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

يُلاحظ أنّ الحديث عن المؤمنين مقرون بذكر الأعمال الصالحة، باعتبارها ثمرة دوحة الإيمان. وفي ذلك إشارة إلى أن ادّعاء الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بدّ أن تشهد عليـه الأعمـال الصالحة. لكنّ الكفر وحـده ـ وإن لم يقترن بالأعمـال السيّئة ـ مبعث السقـوط والشقاء. أضف إلى ذلـك أنّ الكفر عادة منطلق لأنـواع الذنوب والجرائم والانحرافات.

عبـارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ تُبيّن بجلاء أنّ الإنسان المؤمن ذا الأعمال الصالحة أفضل من الملائكـة، فعبارة الآية مطلقة وليس فيها استثناء. والآيات الأُخرى تشهد علـى ذلك أيضاً، مثل آية سجود الملائكـة لآدم، ومثل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1].

هذه الآية تحدّثت عن الجزاء المادّيّ الّذي ينتظر المؤمنين، وعن الجزاء المعنويّ الروحيّ لهم، وهو رضا الله عنهم ورضاهم عنه.

إنّهـم راضون عن الله لأنّ الله أعطاهم ما أرادوه، والله راضٍ عنهم لأنّهم أدّوا ما أراده منهـم، وإن كانـت هناك زلّة فقد غفرها بلطفه وكرمـه. وأيّة لذّة أعظم من أن يشعر الإنسان بأنّه نال رضا المحبوب ووصاله ولقاءه؟

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

نعم، نعيم جسد الإنسان جنّات الخلد، ونعيم روحه رضى الله ولقاؤه.

جملة ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ تدلّ على أنّ كلّ هذه البركات تنطلق من «خشية الله»، لأنّ هذه الخشية دافع للحركة صوب كلّ طاعة وتقوى وعمل صالح.

٣-عليّ عليه السلام وشيعته خير البريّة

ثمّة روايات كثيرة من طرق أهل السنّة في مصادرهم الحديثيّة المعروفة، وهكذا في المصادر الشيعيّة، فسّرت الآية: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ بأنّهم عليّ وشيعته.

ف «**الحاكم الحسكانيّ النيسابوريّ**» عالم أهل السنّة المعروف في القرن الخامس الهجريّ نقل هذه الرّوايات في كتابه المشهور «**شواهد التنزيل**» بطرق مختلفة، ويزيد عدد هذه الرّوايات على العشرين نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ عن ابن عبّاس قال: عندما نزلت آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله لعليّ: «**هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين ويأتي عدوّك غضباناً «مقمحين»**»[١].

٢ ـ وعن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: كنّا جالسين عند النبيّ جوار الكعبة، فأقدم علينا عليّ، وحين رآه النبيّ قال: «**قد أتاكم أخي**»، ثمّ التفت إلى الكعبة، وقال: «**وربّ هذه البيّنة، إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة**».

ثمّ التفت إلينا وقال: «**أما والله إنّه أوّلكم إيماناً بالله، وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأقضاكم بحكم الله، وأقسمكم بالسويّة، وأعدلكم في الرعيّة وأعظمكم عند الله مزيّة**»

قال جابر: فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ فكان عليّ إذا أقبل قال أصحاب محمّد: قد أتاكم خير البريّة بعد رسول الله[٢].

(١) شواهد التنزيل، ج٢، ص٣٥٧، الحديث ١١٢٦.

(٢) م.ن. ص٣٥٩، الحديث ١١٣٠.

بعض هذه الأحاديث رواه ابن حجر في الصواعق، ومحمّد الشبلنجيّ في نور الأبصار.

وجلال الدِّين السيوطيّ نقل القسم الأعظم من الرّواية الأخيرة عن ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

٣. في «**الدرّ المنثور**» عن ابن عبّاس قال: «**حين نزلت آية**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، **قال رسول الله لعليّ**: «**هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين**».

باختصار هذا الحديث من الأحاديث المعروفة المشهورة المقبولة لدى أكثر علماء الإسلام، وفيه بيان لفضيلة كبرى من فضائل عليّ وأتباعه.

وهذه الرّوايات تدلّ ضمناً على أنّ كلمة «**الشيعة**» باعتبارها اسماً لأتباع عليّ عليه السلام كانت قد شاعت منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين على لسان الرّسول نفسه. وأُولئك الّذين يخالون أنّ الكلمة هذه ظهرت في عصور متأخّرة في خطأ كبير.

٤- منحنى الصعود والسقوط

من آيات هذه السّورة المباركة يُستفاد أنّ الإنسان فريد بين مخلوقات الكون في البون الشاسع الّذي يفصل بين منحنى ارتفاعه وسموّه وبين منحنى سقوطه وهبوطه. فإذا كان من الّذين آمنوا وعملوا الصالحات (عبارة «**عملوا الصالحات**» تشمل كلّ الأعمال الصالحة لا بعضها) فهو أفضل خلق الله؛ وإن سلك طريق الكفر والضلالة والعناد هبط إلى هوّة سحيقة وكان شرّ خلق الله.

هذا البون الشاسع بين الاتّجاهين ـ رغم خطورته وحساسيّته ـ له دلالة كبيرة على مكانة النوع البشريّ وقابليّته للتكامل. وطبيعيّ أن يكون إلى جانب هذه القابلية العظيمة إمكان عظيم للهبوط والسقوط.

خلاصة

هـذه السّـورة تناولت رسالة رسـول اللّه ﷺ وما فيها من دلائل بيّنـة. والسّورة تُقرِّر حقيقـة وجود الإيمان والتوحيـد والصلاة والصيام في كلّ الأديـان ودعوات الأنبياء باعتبارها أصولاً ثابتة.

الآيـات الأولى لهذه السّورة المباركة تتحدّث عـن أهل الكتاب والمشركين الّذين كانـوا يدّعـون أنّهم سوف يقبلون الدعـوة إن جاءهم نبيٌّ بالدلائـل الساطعة. لكنّهم أعرضوا حين ظهر، وجابهوه، إلّا فريقٌ منهم آمن واهتدى.

إنّ ديـن الإسلام ليس فيه سوى التوحيـد الخالص والصلاة والزكاة وأمثالها من التعاليـم. وذكـر المؤمنين مقرون بذكـر الأعمال الصالحـة، باعتبارها ثمرة دوحة الإيمان.

نعيم جسد الإنسان جنّات الخلد، ونعيم روحه رضا اللّه ولقاؤه. وخير البريّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وشيعته.

القرآن والإخبار بالغيب

أخبر القرآن الكريم في عدّة من آياته عن أمور مهمّة، تتعلّق بما يأتي من الأنباء والحوادث. وقد كان في جميع ما أخبر به صادقاً، لم يُخالف الواقع في شيء منها. ولا شكّ في أنّ هذا من الإخبار بالغيب، ولا سبيل إليه غير طريق الوحي والنبوّة.

فمن الآيات الّتي أنبأت عن الغيب قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وهذه الآية نزلت في وقعة بدر. وقد وعد الله فيها المؤمنين بالنصر على عدوّهم وبقطع دابر الكافرين. والمؤمنون على ما هم عليه من قلّة العدد والعدّة، حتّى أنّ الفارس فيهم كان هو المقداد، أو هو والزبير بن العوّام والكافرون هم الكثيرون الشديدون في القوّة. وقد وصفتهم الآية بأنّهم ذوو شوكة، وأنّ المؤمنين أشفقوا من قتالهم، ولكنّ الله يُريد أن يُحقّ الحقّ بكلماته. وقد وفى للمؤمنين بوعده، ونصرهم على أعدائهم، وقطع دابر الكافرين.

ومنها قوله تعالى:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ * ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

فإنّ هذه الآيات الكريمة نزلت بمكّة في بدء الدعوة الإسلاميّة. وقد أخرج البزّار والطبرانيّ في سبب نزولها عن أنس بن مالك: إنّها نزلت عند مرور النبيّ ﷺ على أناس بمكّة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: «**هذا الذي يزعم أنّه نبيٌّ ومعه**

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧.
(٢) سورة الحجر، الآيات: ٩٤-٩٦.

جبرئيل»[1]. فأخبرت الآية عن ظهور دعوة النبيّ ﷺ ونصرة الله له، وخذلانه للمشركين الّذين ناوأوه واستهزأوا بنبوّته، واستخفّوا بأمره. وكان هذا الإخبار في زمان لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انحطاط قوّة قريش، وانكسار شوكة سلطانهم، وظهور النبيّ ﷺ عليهم.

ونظير هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[2].

ومن هذه الأنباء قوله تعالى:

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾[3].

وقد وقع ما أخبر به القرآن الكريم قبل أقلّ من عشر سنين، فغلب ملك الروم، ودخل جيشه مملكة الفرس.

ومنها قوله تعالى:

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ * سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[4].

فأخبر عن انهزام جمع الكفّار وتفرّقهم وقمع شوكتهم. وقد وقع هذا في يوم بدر أيضاً حين ضرب أبو جهل فرسه، وتقدّم نحو الصفّ الأوّل قائلاً: «**نحن ننتصر اليوم من محمّد وأصحابه**» فأباده الله وجمعه، وأنار الحقّ ورفع مناره، وأعلى كلمته، فانهزم الكافرون، وظفر المسلمون عليهم حينما لم يكن يتوهّم أحد بأنّ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً - ليس لهم عدّة، ولا يصحبون غير فرس أو فرسين وسبعين بعيراً يتعاقبون عليها - يظفرون بجمع كبير تامّ العدّة وافر العدد. وكيف يستفحل أمر أولئك النفر القليل على هذا العدد الكثير، حتّى تذهب

(١) لباب النقول، جلال الدين السيوطيّ، ص١٣٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الروم، الآيتان: ٢- ٣.
(٤) سورة القمر، الآيتان: ٤٤- ٤٥.

شوكته كرماد اشتدّت به الريح، لولا أمر الله وإحكام النبوّة وصدق النيّات؟!.

ومنها قوله تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[1].

وقد تضمّنت هذه السورة نبأ دخول أبي لهب، ودخول زوجته، النار. ومعنى ذلك هو الإخبار عن عدم تشرّفهما بقبول الإسلام إلى آخر حياتهما، وقد وقع ذلك[2].

(١) سورة المسد، الآيات: ١ ـ ٣ ـ ٤.

(٢) البيان في تفسير القرآن، السيّد أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ٦٧ – ٧٠.

الدرس السابع عشر

تفسير سورة الجمعة

أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب بعضاً من معاني ومفاهيم سورة الجمعة المباركة.

٢. أن يتعرّف إلى هدف البعثة النبويّة.

٣. أن يستعلم أهميّة صلاة الجمعة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۞ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ
رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
۞ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ
أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ
فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ
فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً
أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۞

١- في رحاب السورة:

تدور هذه السورة المباركة حول محورَين أساسيَّين:

الأوّل: هو التوحيد وصفات الله والهدف من بعثة الرسول ومسألة المعاد.

والمحور الثاني: هو الأثر التربويّ لصلاة الجمعة وبعض الخصوصيّات المتعلّقة بهذه العبادة العظيمة.

ولكن يُمكن أن نُجمل الأبحاث الّتي وردت في هذه السورة المباركة بالنقاط التالية:

١ – تسبيح كافّة المخلوقات.

٢ – الهدف التعليميّ والتربويّ من بعثة الرسول ﷺ.

٣ – تحذير المؤمنين وتنبيههم من مغبّة الوقوع في الانحراف الّذي وقع فيه اليهود فابتعدوا عن جادّة الصواب والحقّ.

٤ – إشارة إلى قانون الموت العامّ والشامل الّذي يُمثّل المعبر إلى عالم البقاء والخلود.

٥ – التأكيد على أداء فريضة صلاة الجمعة، وحثّ المؤمنين على تعطيل العمل والكسب من أجل المشاركة فيها.

٢- الهدف من بعثة الرسول:

تبدأ هذه السورة بالتسبيح لله عزَّ وجلَّ، وتُشير إلى بعض صفات الجمال والجلال والأسماء الحسنى لله. ويُعتبر ذلك في الحقيقة مقدّمة للأبحاث القادمة، حيث يقول تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، حيث يُسبّحونه ويُنزّهونه عن جميع العيوب والنقائص، الملك القدّوس العزيز الحكيم.

وبناءً على ذلك تُشير الآية أوّلاً إلى «**المالكيّة والحاكميّة المطلقة**» لله سبحانه، ثمّ «**تُنزّهه من أيّ نوع من الظلم والنقص**» وذلك لارتباط اسم الملوك بأنواع المظالم والمآسي، فجاءت كلمة «**قدّوس**» لتنفي كلّ ذلك عنه جلّ شأنه.

وبعد هذه الإشارة الخاطفة ذات المعنى العظيم لمسألة التوحيد وصفات الله،

يتحدّث القرآن عن بعثة الرسول والهدف من هذه الرسالة العظيمة المرتبطة بالعزيز الحكيم القدّوس، حيث يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وذلك من أجل أن يطهّرهم من كلّ أشكال الشرك والكفر والانحراف والفساد ويُزكّيهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

«**الأميّين**» جمع (أُمّيّ) وهو الّذي لا يعرف القراءة والكتابة (نسبته إلى الأمّ باعتبار أنّه لم يتلقّ تعليماً في معهد أو مدرسة فهو بقي على ما ولدته أمّه).

والجدير بالذكر أنّ الآية تؤكّد أن نبيّ الإسلام بُعث من بين هؤلاء الأميّين الّذين لم يتلقّوا ثقافة وتعليماً وذلك لبيان عظمة الرسالة وذكر الدليل على حقّانيّتها، لأنّ من المحال أن يكون هذا القرآن العظيم وبذلك المحتوى العميق وليد فكر بشريّ وفي ذلك المحيط الجاهليّ ومن شخص أميّ أيضاً، بل هو نور أشرق في الظلمات، ودوحة خضراء في قلب الصحراء، وهي بحدّ ذاتها معجزة باهرة وسند قاطع على حقّانيّته...

ولخّصت الآية الهدف من بعثة الرسول ﷺ في ثلاثة أمور، جاء أحدها كمقدّمة وهو تلاوة الآيات عليهم، بينما شكّل الأمران الآخران أي (تهذيب وتزكية النفس) و (تعليمهم الكتاب والحكمة) الهدف النهائيّ الكبير.

ولكن لم يكن الرسول مبعوثاً لهذا المجتمع الأمّيّ فقط، بل كانت دعوته عامّة لجميع الناس، فقد جاء في الآية التالية ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾[1].

وجاء في آخر الآية: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

بعد أن يُشير إلى هذه النعمة الكبيرة - أي نعمة بعث نبيّ الإسلام الأكرم وبرنامجه التعليميّ والتربويّ - يُضيف قائلاً: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

(١) سورة الجمعة، الآية: ٣.

٣- الحمار الّذي يحمل الأسفار:

جـاء في بعض الروايـات أنّ اليهود قالـوا: (إذا كان محمّد قد بُعـث برسالة فإنّ رسالتـه لا تشملنـا) فردّت عليهم الآية مورد البحث في أوّل بيـان لها بأنّ رسالته قد أُشير إليها في كتابكم السماويّ لو أنّكم قرأتموه وعملتم به.

يقـول تعالـى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾، أي نزلـت عليهـم التـوراة وكُلّفـوا بالعمـل بها ولكنّهم لم يؤدّوا حقّها ولم يعملـوا بآياتها فمثلهم ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾.

لا يشعر هذا الحيوان بمّا يحمل من كتب إلّا بثقلها، ولا يُميّز بين أن يكون المحمول على ظهره خشباً أو حجراً أو كتباً فيها أدقّ أسرار الخلق وأحسن منهج في الحياة.

لقد اقتنع هؤلاء القوم بتلاوة التوراة واكتفوا بذلك دون أن يعملوا بموجبها.

هؤلاء مثلهم كمثل الحمار الّذي يُضرب به المثل في الغباء والحماقة.

وذلك أوضح مثال يُمكن أن يكشف عن قيمة العلم وأهمّيّته.

ويُعتبـر ذلك تحذيراً للمسلميـن كافّة من أن ينتهوا إلى ما انتهى إليه اليهود، فقد شملتهم الرحمة الإلهيّة ونزل عليهم القرآن الكريم، لا لكي يضعوه على الرفوف يعلوه الغبـار، أو يحملـوه كمـا تُحمل التعاويذ أو مـا إلى ذلك. وقد لا يتعـدّى اهتمام بعض المسلمين بالقرآن أكثر من تلاوته بصوت جميل في أغلب الأحيان.

٤- توصيف حال اليهود

ثـمّ يقـول تعالى:بئس مثل القوم الّذيـن كذّبوا بآيات الله، إذ لـم يكتفوا بمخالفة القـرآن عملاً، بـل أنكروه بلسانهم أيضـاً، حيث قالت الآية (٨٧) مـن سورة البقرة وهي تصف اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾.

ويقول تعالى في آخر الآية في عبارة وجيزة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

صحيح أنّ الهداية شأن إلهيّ، ولكن ينبغي أن تُهيّأ لها الأرضيّة اللّازمة، وهي الروح التوّاقة لطلب الحقّ والبحث عنه، وهي أمورٌ يجب أن يُهيّئها الإنسان نفسه، ولا شكّ أنّ الظالمين يفتقدون مثل هذه الأرضيّة.

ومن المعروف أنّ اليهود اعتبروا أنفسهم أمّة مختارة، أو نسيجاً خاصّاً لا يُشبه غيره، وذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما ادّعوا أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه، وهذا ما أشارت إليه الآية (١٨) من سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ (رغم أنّهم يقصدون الأبناء المجازيّين).

ولكنّ القرآن شجب هذا التعالي مرّة أخرى بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

فالأحبّاء يتمنّون اللقاء دائماً، ولا يتمّ اللّقاء المعنويّ بالله يوم القيامة إلّا عندما تزول حجب عالم الدنيا وينقشع غبار الشهوات والهوى، وحينئذ سيرى الإنسان جمال المحبوب ويجلس على بساط قربه، ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ فيدخل إلى حرم الحبيب.

إنّ خوفكم وفراركم من الموت دليل قاطع على أنّكم متعلّقون بهذه الدنيا وغير صادقين في ادّعائكم.

ويوضّح القرآن الكريم هذا المعنى بتعبير آخر في سورة البقرة آية (٩٦) عندما يقول تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

ثمّ يُشير القرآن إلى سبب خوفهم من الموت بقوله: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

لأنّ خوف الإنسان من الموت ناشئ من عاملين أساسيّين:

الأوّل: عدم إيمان الإنسان بالحياة بعد الموت واعتقاده أنّ الموت زوال وفناء.

والثاني: أعمالـه السيّئة الّتي يعتقـد أنّه سيواجهها بعد مماتـه في عالم الآخرة عندما تُقام المحكمة الإلهيّة.

وقـد وصفهـم القرآن الكريـم بالظالمين، وذلـك لأنّ الظلم يتّسـع ليشمل جميع الأعمـال السيّئـة والجرائـم الّتي ارتكبوها، مـن قتلهم الأنبياء وقـول الزور وغصب الحقوق وتلوّثهم بمختلف المفاسد الأخلاقيّة.

غيـر أنّ هـذا الخوف وذلك الفـرار لا يُجدي شيئـاً، فالموت أمرٌ حتمـيّ لا بدّ أن يُدرك الجميع، إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الموت قانون عامّ يخضع له الجميع بما فيهم الأنبياء والملائكة وجميع الناس، كلّ من عليها فانٍ ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام.

وكذلـك المثول أمام محكمة العدل الإلهيّ لا يفلت منها أحد، إضافة إلى علم الله تعالى بأعمال عباده بدقّةٍ وبتفصيل كامل.

وبهذا سوف لا يكون هناك طريق للتخلّص من هذا الخوف سوى تقوى الله وتطهير النفس والقلب من المعاصي. وبعد أن يُخلص الإنسان لله تعالى فإنّه لن يخاف الموت حينئذ.

ويعبّـر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه المرحلـة بقوله: «**هيهات بعد اللّتيّا والّتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**»[1].

فـإذا صدّقت النفـس أنّ (الدنيا سجن المؤمـن وجنّة الكافـر) وإذا أيقنت هذه النفـس أنّ هذا البدن الترابيّ إنّما هو سجن للروح وسور يضرب الحصار عليها، إذا آمنـت بذلك حقّاً وكانت نظرة الإنسان إلى الموت هكذا فإنّه سوف لن يخشى الموت أبداً.

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٤١.

لهـذا نجد في قصّة عاشـوراء أنّه كلّما ضاقت حلقة الأعداء وازداد ضغطهم على الإمـام الحسين وأصحابه ازدادت وجوههـم إشراقاً، حتّـى أنّ الشيوخ من أصحابه كانت الابتسامة تطفو على وجوههم في صبيحة عاشوراء، وحينما كانوا يُسألون كانوا يقولون: إنّنا سنُستشهد بعد ساعات فنُعانق الحور العين[1].

والسبـب الآخر الّذي يجعل الإنسان يخاف من الموت هـو التعلّق بالدنيا أكثر من الـلازم، الأمر الّذي يجعله يرى الموت الشيء الّـذي سيفصله عن محبوبه ومعشوقه الّذي هو الدنيا.

وكثرة السيّئات وقلّة الحسنات في صحيفة الأعمال هي السبب الثالث وراء الخوف مـن المـوت، فقد جاء شخص وسأل (أبا ذرّ): مـا لنا نكره المـوت؟ فأجابه أبو ذرّ قائـلاً: «**لأنّكم عمّرتم الدنيا وخرّبتـم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب**»[2].

أهمّيّة صلاة الجمعة

إنّ أفضـل دليل علـى أهمّيّة هذه الفريضـة العظيمة هو الآيـات الأخيرة في هذه السـورة المباركة، الّتي أمرت جميع المسلمين وأهـل الإيمان بمجرّد سماعهم لأذان الجمعـة أن يُسرعوا إليها ويتركـوا الكسب والعمل، وكلّ ما مـن شأنه أن يُزاحم هذه الفريضة.

عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله تعالى فرض عليكم الجمعة، فمن تركها في حياتي أو بعد موتي استخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حجّ له، ألا ولا صوم له، ألا ولا برّ له، حتّى يتوب**»[3].

(١) مقتل الحسين، المقرم، ص ٢٦٣.
(٢) المحجّة البيضاء، ج ٨، ص ٢٥٨.
(٣) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٧.

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ: «**من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل**»[1]. أي غُفرت ذنوبه ويبدأ العمل من جديد.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام: «**صلاة الجمعة فريضة والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن ترك رجل من غير علّة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض ولا يدع ثلاث فرائض من غير علّة إلّا منافق**»[2].

والروايات كثيرة في هذا المجال ولا يتّسع المجال لذكرها جميعاً، لذا نحاول أن نُنهي هذا البحث بحديثٍ آخر، حيث جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّي تهيّأت عدّة مرّات للحجّ ولكنّي لم أوفّق. قال ﷺ: «**عليك بالجمعة فإنّها حجّ المساكين**»[3]. وفي ذلك إشارة إلى أنّ ما يتضمّنه هذا المؤتمر الإسلاميّ الكبير (أي الحجّ) من بركات، موجودة في اجتماع صلاة الجمعة.

ومن الملفت للنظر أنّه قد ورد ذمّ شديد لتارك صلاة الجمعة، حتّى عُدّ التاركون للجمعة في صفّ المنافقين عندما تكون صلاة الجمعة واجباً عينيّاً (أي في زمن حضور الإمام المعصوم عليه السلام) وأمّا في زمن الغيبة - وبناءاً على أنّها واجبة تخييراً بينها وبين صلاة الظهر - فإنّه لا يكون مشمولاً بهذا الذمّ والتقريع رغم عظمة وأهمّيتها في هذا الوقت أيضاً (للتوسّع في ذلك يجب الرجوع إلى الكتب الفقهيّة).

فلسفة صلاة الجمعة العباديّة والسياسيّة

إنّ صلاة الجمعة - قبل كلّ شيء - عبادة جماعيّة ولها أثر العبادات عموماً، حيث تُطهّر الروح والقلب من الذنوب، وتُزيل صدأ المعاصي عن القلوب، خاصّةً وأنّها تكون دائماً مسبوقة بخطبتين تشتملان على أنواع المواعظ والحكم، والحثّ على التقوى وخوف الله.

(١) م.ن، ج٥، ص٣.
(٢) ثواب الأعمال، الصدوق، ص٢٣٣.
(٣) م.ن، ج٧، ص٣٠٠.

أمّا من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة فهي أكبر مؤتمر أسبوعيّ عظيم بعد مؤتمر الحـجّ السنويّ، لهذا نجد الرسول ﷺ يقول تلك الرواية الّتي نقلناها سابقاً حول أنّ الجمعة حجّ من لا يملك القدرة على المشاركة في الحج.

ويُعطي الإسلام في الحقيقة أهميّة خاصّة لثلاثة مؤتمرات كبيرة:

التجمّعات الّتي تتمّ يوميّاً لصلاة الجماعة.

التجمّع الأسبوعيّ الأوسع في صلاة الجمعة.

ومؤتمر الحجّ الّذي يُعقد في كلّ سنّة مرّة.

دور صلاة الجمعة

دور صـلاة الجمعـة مهمٌّ جدّاً خاصّـة وأنّ الخطيب سيتحدّث فـي الخطبتين عن المسائـل السياسيّة والاجتماعيّـة والاقتصاديّة وبذلك سيكون هـذا التجمّع العظيم والمهيب منشأً للبركات والنِّعم التالية:

أ - توعية الناس على المعارف الإسلاميّة والأحداث السياسيّة والاجتماعيّة المهمّة.

ب - توثيق الاتّحاد والانسجام بين المسلمين أكثر لإخافة الأعداء.

ج - تجديد الروح الدينيّة ورفع معنويّات المسلمين.

د - إيجاد التعاون لحلّ المشكلات العامّة الّتي تواجه المسلمين.

ولهذا فإنّ أعداء الإسلام يخافون دائماً من صلاة الجمعة الجامعة للشرائط.

ولهذا - أيضاً - كانت صلاة الجمعة مصدر قوّة سياسيّة في أيدي حكومات العدل كحكومة الرسول ﷺ الّذي استثمرها أحسن استثمار لخدمة الإسلام، وكذلك كانت مصـدر قوّة أيضاً لحكومات الجور كدولة بنـي أميّة الّذين استغلّوها لتحكيم قدرتهم وسيطرتهم وإضلال الناس.

وعلـى مدى التاريخ نُلاحظ أنّ أيّة محاولة للتمـرّد على النظام تبدأ أوّلاً بالامتناع عـن صـلاة الجمعة خلـف الإمام المنصـوب من قبـل الحاكم، فقد جـاء في قصّة عاشوراء أنّ بعض الشيعة اجتمعوا في دار سليمان بن صرد الخزاعيّ ثمّ بعثوا رسالة إلـى الإمام الحسين من الكوفة جاء فيها «.. **والنعمان بن بشـير في قصـر الإمارة،**

لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نُلحقه بالشام إن شاء الله»[1].

وفي الصحيفة السجّاديّة عن الإمام السجّاد عليه السلام: «**اللهمّ إنّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك، في الدرجة الرفيعة الّتي اختصصتهم بها قد ابتزّوها**»[2].

وفي خطبة الجمعة يتمّ تبديد جميع الإشاعات الّتي كان الأعداء قد بثّوها خلال الأسبوع، وتدبّ بعد ذلك الحياة في جموع المسلمين ويبدأ دم جديد بالتدفّق.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ فقه أهل البيت عليهم السلام ينصّ على عدم جواز إقامة أكثر من جمعة واحدة في منطقة نصف قطرها فرسخ، كما يجب أن يشارك في صلاة الجمعة من كان يبعد عنها بمسافة فرسخين (أي ما يعادل أحد عشر كيلو متراً).

كلّ هذا يعني أنّه لا يُمكن إقامة أكثر من صلاة جمعة في مدينة واحدة صغيرة أو كبيرة، مع أطرافها وضواحيها. وبناءً على هذا فسيكون هذا التجمّع هو أوسع تجمّع يُقام في تلك المنطقة.

ولكنّنا نجد مع الأسف أنّ هذه المراسم العباديّة السياسيّة الّتي تستطيع أن تكون مصدر حركة عظيمة في المجتمعات الإسلاميّة، نجدها بسبب سيطرة الحكومات الفاسدة على بعض الدول الإسلاميّة قد فقدت روحها ومعناها، إلى الحدّ الّذي لا تترك فيه أيّ أثر إيجابيّ، وأصبحت تُقام باعتبارها مراسم حكوميّة رسميّة لا أكثر، وذلك ممّا يحزّ بالنفس ويؤلم كثيراً.

(١) البحار، ج ٤٤، ص ٣٣٣.
(٢) الصحيفة السجّاديّة، دعاء ٤٢.

خلاصة

تدور هذه السورة حول محورين أساسيّين:

الأوّل: هو التوحيد وصفات الله والهدف من بعثة الرسول ومسألة المعاد.

والمحور الثاني: هو الأثر التربويّ لصلاة الجمعة وبعض الخصوصيّات المتعلّقة بهذه العبادة العظيمة.

صحيح أنّ الهداية شأن إلهيّ، ولكن ينبغي أن تُهيّأ لها الأرضيّة اللّازمة، وهي الروح التوّاقة لطلب الحقّ والبحث عنه.

الموت قانون عامّ يخضع له الجميع بما فيهم الأنبياء والملائكة وجميع الناس.

إنّ السبب الأساس وراء الخوف من الموت هو عدم إيمان هؤلاء بالحياة بعد الموت أوالتعلّق بالدنيا أكثر من اللّازم أو كثرة المعاصي.

إنّ صلاة الجمعة – قبل كلّ شيء – عبادة جماعيّة ولها أثر العبادات عموماً، حيث تُطهّر الروح والقلب من الذنوب. أمّا من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة فهي أكبر مؤتمر أسبوعيّ عظيم بعد مؤتمر الحجّ السنويّ.

للمطالعة

القرآن والاكتشافات العلميّة المعاصرة

لا شـكّ أنَّ القـرآن ليس كتاباً من كتـب العلوم الطبيعيّة أو الطبيّـة أو النفسيّة أو الرياضيّة.

القـرآن كتاب يهدي الإنسان ويصنعه، فهو لا يترك شيئاً ضروريّاً في هذا السبيل إلّا وأتى به.

لذلـك ليـس لنا بالطّبع أنْ نرى في القرآن دائرة معارف عامّة، بل لنا أن نجد فيه نـور الإيمان والهداية والتقوى والإنسانيّة والأخلاق والنظـام والقانون، فهو يضمّ كلّ هذه الأُمور.

غيـر أنّ القـرآن، للوصول إلـى هذه الأهداف، يُشيـر أحياناً إلى جانـب من العلوم الطبيعيّة وأسرار الخلق وعجائب عالم الوجود وخاصّةً خلال ذكر التوحيد والاستدلال بنظـام الكـون، فيرفع الستار عن بعض أسرار عالم الخلـق ويكشف أُموراً لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً يومذاك وفي ذلك المحيط، حتّى العلماء منهم.

هـذه البيانات تجتمع تحت عنـوان «**معجزات القـرآن العلميّـة**». نُشير إلى بعضٍ منها في ما يلي:

القرآن وقانون الجاذبيّة

لـم يكـن أحد قبل نيوتن يعرف شيئاً عن قانون الجاذبيّـة العامّ. من المعروف أنَّ نيوتـن هـذا كان يوماً جالسـاً تحت شجرة تفّـاح، فسقطت تفّاحة مـن الشجرة على الأرض، فاستولى هذا الحدث الصغير على كلّ تفكيره وأمضى سنوات يُفكّر في القوّة الّتي جذبت التفاحة إليها. لماذا لم ترتفع إلى السماء؟ وبعد سنوات توصّل إلى وضع قانون الجاذبيّة الأرضيّة الّذي يقول:

«**تتجاذب الكتلتان بنسبة طرديّة مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيّاً مع مربّع المسافة بين مركزي ثقليهما**».

على أثر صياغة هذا القانون اتّضح وضع المنظومة الشمسيّة.

لماذا تدور هذه الكواكب العظيمة كلّ في مدار حول الشمس؟ لماذا لا تهرب من هذا المدار وتنطلق في كل اتّجاه؟

لماذا لا تتراكم بعضها فوق بعض؟ ما هذه القوّة الّتي تُمسك هذه الأجرام في مدارات دقيقة في هذا الفضاء الشاسع، دون أنْ تتجاوزها حتّى بمقدار رأس الإبرة؟ اكتشف نيوتن أنَّ حركة الجسم الدائريّة تجعله يبتعد عن المركز، وقانون الجاذبيّة يجذبه إلى المركز، فإذا ما تعادلت هاتان القوّتان، القوّة الطاردة عن المركز، والقوّة الجاذبة نحو المركز، أي إذا أوجدت «**الكتلة**» و«**المسافة**» من القوّة «**الجاذبة إلى الداخل**» والقوّة «**الطاردة إلى الخارج**» مقادير متعادلة، بقي الجسم يدور في مداره ولا يتعدّاه.

غير أنَّ القرآن قبل أكثر من ألف سنة من اكتشاف هذه القوانين قال في الآية الثّانية من سورة الرّعد:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام قوله:

«**أليس الله يقول بغير عمد ترونها؟ قلت: بلى. قال: ثَمّ عمد لكن لا ترونها**»[1].

أهناك تعبير أوضح وأبسط في الأدب العربيّ من هذا القول عن قوّة الجاذبيّة: أعمدة غير مرئية، ليفهمه عامّة الناس؟

وفي حديث عن الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام نقرأ:

(١) مفاهيم القرآن، السبحاني، ج١٠، ص٢٣.

«هـذه النجـوم الّتي فى السّـماء مدائن مثل المدائن الّتـي في الأرض مربوطة كلّ مدينة إلى عمود من نور».

أليســت هــذه الإخبارات معجــزة علميّة؟ خاصّــة أنَّ الذي جاء به إنســان أُمّي لم يدخل مدرسة، بل إنَّه نشأ في محيط متخلِّف لا مدرسة فيه ولا تعليم. أفلا يكون هذا دليلاً على كون القرآن كتاباً سماوّياً؟[1]

(١) سلسلة دروس في العقائد الاسلاميّة، آية الله مكارم الشيرازي، مؤسّسة البعثة، ط٢، ص١١٢- ١١٤.